روايات

غدير ٢٠٠٠

تأليف : ويلي

ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

دار الكتاب العربية
دمشق - القاهرة

www.rewayti.net

الخائن

يمكن للمرء أن يكون كريماً. وأن يشقى المرأة في نفس الوقت.

هكذا فكرت جينفرا، بعد بضعة شهور من زواجها من المركيز سيلفيو أورسيللا. ومع ذلك فهي لاتستطيع أن تلومه لأنها عرفت منذ أول لقاء لهما أنه لايزال مرتبطاً، قلباً وقالباً، بذكرى زوجته هيلين التي انتزعها الموت من حبه بعد سنة من سعادة غامرة. وإنه إذا كان قد رضى أن يتزوج بها فذلك لأنه أراد استمرار اسم اورسيللا

دار الكتاب العربي / رابطة
دمشق: الحلبوني - تلكس ٤١١٥٤١ - هاتف ٢٢٣٥٤٠٦
القاهرة: ٥٢ ش عبد الخالق ثروت، شقة ١١
ت + فاكس ٣٩١٦١٢٢ - ٢٦٩٤٤٤٨

B /750

www.rewayti.net

جَميع الحُقوق محفوظة

الطَبعَة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

دار الكتاب العربي / دمشق
دمشق: الحلبوني - تلكس ٤١١٥٤١ - هاتف ٢٢٣٥٤٠١
القاهرة: ٥٢ ش عبد الخالق ثروت، شقة ١١
ت + فاكس ٢٦٩٤٤٤٨ - ٣٩١٦١٢٢

١

انفتح باب في رفق، وقال صوت خفيض،

- صاحب السعادة المركيز اورسيللا.

تركت الكونتيسة رييزيني عوينتها الباغة تقع من فوق انفها المهيب، واطبقت الكتاب المفتوح امامها فوق خوان صغير له قاعدة من الرخام النفيس، وابتسمت للزائر وقالت،

- كنت انتظرك قليلاً اليوم ياسيلفيو.

تقدم المركيز، واحنى قامته الرشيقة، وطبع قبلة على اليد التي قدمتها له وقال،

- إنك طلبت مني القدوم لكي اراك يابنة العم.

- نعم، لكي نتبادل حديثاً جدياً شينا ماً. دعك من عبوسك هذا ياسيلفيو... يجب ان تحكم عقلك يابني العزيز.

سرت قشعريرة على الوجه الكامد المعروق شيئاًما، وتقوس الحاجبان وتقاربا في بطء فوق العينين السواداوين، وقال دون سيلفيو وهو يبذل جهده،

- نعم إنني اعلم. ولكن الأمر جد عسير.. ان احل محلها امراة اخرى... امراة لن احبها.. ولن احبها ابداً...

- وما ادراك؟ .. لن الحب يمكن ان يمكن ان ياتي.

قال في بطء،

- ابداً.

www.rewayti.net

وتوتر وجهه، وبدا في نظرته المتباعدة ظل من حزن عميق.

كان قد جلس بجوار الخوان الصغير، وارتكزت يده الرقيقة المرتعشة فوق القاعدة الرخامية. وتاملت الكونتيسة، لحظة، الوجه الارستقراطي الذي تبسط عليه العينان السوادوان المتاملتان والحافلتان بالأفكار جمالاً وقوراً، ثم هزت راسها وهي تتمتم،

- سيلفيو... سيلفيو، كنت ارجو ان اجدك مستعداً للقيام بواجبك.

اعتدل في جلسته في شيء من العنف وقال،

- اه. حسناً. انني مستعد، مادام لابد من ذلك. ان ابي حزين جداً وهو يفكر ان اسمنا العتيد في طريقه الى الإنقراض. وساتزوج للصالح العام الفتاة التي تحت حمايتك يادونا فرانشيسكا .. ساتزوجها هي او اية امراة اخرى.

وانها عبارته بحركة من يده.

مست الكونتيسة بإصبعها في بطء خصلات الشعر الأبيض التي تحيط بوجهها المتجعد ذي اللون الوردي الجاف، وارتسم في عينيها عتاب رقيق يشوبه الجد وقالت،

- لايجب ان تتكلم هكذا يابني. ان جينفرا كامبسترس جديرة بان تحب ... ولها كل الميزات التي تجعلها جديرة بالحب.. ولابد انك، انت نفسك ادركت ذلك في المرتين اللتين التقيت فيهما بها.

قال في برود،

- نعم.. انها جميلة جداً.

- ثم انها على درجة كبيرة من الأخلاق الحسنة، وهي فوق ذلك تتمتع بذكاء حاد.. ولكنها متواضعة، وخجولة بعض الشيء، ولايعرفها احد على حقيقتها حقاً إلا إذا توطدت معرفته بها. ثم انها، اخيراً هي المراة التي اتمناها لك من كل قلبي ياسيليفو.

وانت بحركة من شفتيها تعني بكل وضوح، ولكن هذا سيان لدي. وانزلقت اصابعه لحظة فوق القاعدة الرخامية ومست جلدة الكتاب الحريرية، وقال في إيجاز،

- اريد ان تعرف دونا جينفرا تماماً انني لاانزوجها إلا زواج مصلحة. اشرحي لها ذلك وقولي لها انني احب زوجتي التي ماتت كما احببتها وهي على قيد الحياة، ولن مامن امراة اخرى ستاخذ مكانها في قلبي، وفيما عدا هذه الخيانة، فساكون زوجاً كريماً. انك تعرفين اخلاقي ويمكنك ان تؤكدي لدونا جينفرا انني سامنحها كل الرعاية الجديرة بها تماماً، وربما المودة عندما يعرف كل منا الاخر اكثر، ولكن لن يكون بيني وبينها اي حب. إن الفتيات لايحلمن عادة إلا بالحب، واريد ان تعرف ربيبتك بكل اخلاص انها لن تجد الحب عندي.

رف جفنا دونا فرانشيسكا المتجعدين شيئاً ما، فوق العينين الداكنتين الشاحبتين اللتين تحدقان في سيلفيو من عطف واشفاق. وقالت،

- ساشرح لها ذلك يابني. ولكنني لاعتقد انها رومانسية ابداً. إنها فتاة عاقلة لاتسمح لنفسها بكثير من الأحلام، وانا واثقة من ذلك.

- وقد اعطتني في المدتين القصيرتين اللتين رايتها فيهما انطباعاً بانها باردة الطبع جداً. وهذا يروق لي، نظرا لمشاعري انا

www.rewayti.net

بالذات تجاهها وطبيعة الارتباط التي استطيع التصرف بها معها فقط عندما تصبح زوجتي.

تفتحت شفتا الكونتيسة للاحتجاج، ولكنها لم تلبث ان اطبقتهما دون ان تنبس بكلمة. ورفعت ريح ساخنة الستائر اللينون المطرزة، وغطت بقع من الشمس البساط الأزرق النفيس الذي يكسو الأرضية كلها، وانتشرت قطع الموبيليا العتيقة والرقيقة في الصالون ذي الستائر الحريرية بخطوطها الزرقاء والرمادية وتدلى من السقف المزدان بلوحات الحب والزهور الدابلة نبات باغصانه الطويلة الخضراء والغضية بعد ان التف بتعريشة من البرونز، واصطفت فوق رف كتب مغلفة... احدث مطبوعات الفكر في إيطاليا وفرنسا لأنها كانت تهيم، هي والمركيزة اورسيللا وابنه بالإطلاع على آخر اخبار الحركة الثقافية وكانوا على علم تام باخبار مدينة ريبينتي وارباضها المباشرة.

واستطردت دونا فرانشيسكا تقول:

- ولعلك تعرف الموقف المالي لآل كامبسترس؟.. كان الأب شديد الإهتمام بابحاثه التاريخية، وترك املاكه وامواله تتبعثر في يدي رجل اعمال شريف وغير قدير، ثم ان زوجته الثانية لم تاته باية دوطة اما زوجته الأولى فقد جاءته بعشرين الف او خمسة وعشرين الف ليرة لم يبق منها غير النصف تقريباً وهو موقوف مشاركة بين جينفرا وسيكا، اختها. اتى سيلفيو بحركة تدل على عدم اكتراثه وقال،

- لايهمني ان اتزوج امراة فقيرة. كل مايهمني هو ان تكون على شيء من الوعي وحسن الإدراك وعلى شيء من الثقافة، وان تكون متفتحة الذهن ومتوسطة الذكاء وعلى ذوق سليم. وان

تكون طيبة ان تكرس وقتها لأبي، وان تعرف كيف تدير بيتاً، ولاأطلب اكثر من هذا.

- ستجد كل هذا في جينفرا يا صديقي العزيز. انها فتاة قوية جداً، عرفت في بيتها الهموم القاسية لحياة مضطربة، والمعاشرة الشاقة لطبيعة جافة واستبدادية، واعني بها طبيعة زوجة ابيها. انها صبورة ومجدة ونشيطة وشديدة الورع طبعاً. اؤكد لك انها فتاة طيبة وسمحة، وتبدو لي المراة التي تناسبك تماماً.

خيم الصمت بينهما من جديد. وراح سيلفيو يداعب شاربه الأسمر باطراف اصابعه. ونظرته المتجهة تضيع بعيداً.. نحو الماضي. كان يرمى يرى وجهاً نضيرا وشفتين قرمزيتين ضاحكتين وعينين واسعتين شديدتي الإتساع، ورقة لامتناهية، وكل تلك الكتلة من الشعر الأشقر الذي لم تكن تعرف كيف تسرحه والتي يروق لهيلين ان تلهو بيديها به وهو يتهدل فوق كتفيها، فوق الثياب البيضاء التي تحب ارتداءها، وسمع ضحكتها الفتية وصوتها الرخيم الذي ينطق الإيطالية بطريقة ممتعة جداً، كانت تقول له وهي تبتسم ابتسامة خبيثة، اي حبيبي، تكلم بلغة بلدك إذا اردت، اما انا فاحب ان اتكلم باللغة الفرنسية، فإن هذا اسهل كما ترى..

اين ذهبت تلك الساعات الرائعة... واين هذه الرقة، وذلك الجمال، وتلك الفرحة التي عاشها.. خلال عشرة شهور - عشرة شهور من السعادة ... مضى كل هذا، واطبقت هيلين الى الأبد، جفنيها ذات الأهداب الطويلة الباهتة نثرت يد زوجها المرتعشة شعرها الذهبي البراق فوق ثيابها البيضاء وهي راقدة في فراش الموت وتلك اليد وسدت مرة اخرى الجسد المتصلب فوق

www.rewayti.net

٢

يقع بيت آل كامبسترس في اخر ساحة، وتفصله عن الشارع بوابة استحال لون طلائها وتوشك ان تتداعى كالبقية الباقية.. كالجدار المنهار والواجهة الكالحة التي تكثر فيها الشقوق، وكداخل البيت الرحب والخرب حيث تخفى اسرة آل كامبسترس فقرها. وبفضل العمل والترميمات البارعة استطاعت دونا ماريا وابنة زوجها انقاذ الظواهر شيئاً ما. ولكن كان ذلك يقتضي منهما تعباً وجهداً شديدين وهموماً يومية انضجت جينفرا في سن العشرين، واضربت بذلك الجمال الثري ورثته عن امها فلورنتينا الفاتنة التي شغف بها الشيفالية الشاب دي كامبسترس. والتي لم يلبث ان اهملها فيما بعد، ليس من اجل امراة اخرى، وانما من اجل الدراسات التاريخية التي استهوته والتي مازال ينسى حتى اليوم، بسببها الوضع الشاق الحالي والمستقبلي لأولاده الثلاثة، لانه كان يعمل منذ ثلاثين سنة من تاليف كتاب كان يزعم انه سيتسبب في شهرته. ولكن ذهنه المدقق والمستريب كان يضيع في نقاط صغيرة جداً وابحاث تافهة بحيث لم يرى كل الدين حوله متى ينتهي هذا العمل.

ومع ذلك، فلم يكن يفتقر الى قيمة ادبية حقاً. وكان الى جانب كل هذا متواضعاً، حذراً من نفسه، فقد كان يراجع ماسبق ان كتبه عشرين مرة. ويشطب، ويعيد الكتابة المرة بعد المرة، تساعده جينفرا في ذلك العمل طوعياً بدافع الإحترام

البنوس، رغم انها كانت تعلم انه عمل لايجدي، لأن عقلها الصافي والمتروس قد ادرك ان دون كارلو من اولئك الذين لايحققون احلامهم ابداً بسبب ذلك العجز الذهني العضال الا وهو التردد والتشكك.

وتوجد الغرفة الكبيرة التي حولها الشيفالية مكتباً له في احد اطراف البيت، وتطل نوافذها الثلاثة على الحديقة، وتتدلى من الجدران سجادة مستهلكة لاترى فيها العيون غير اشكال مبهجة لأشجار واناس والوان باهتة مصفرة لأقمشة قديمة بالية، وتتكدس الكتب في المكتبات الضخمة من خشب البلوط، وفوق المكتب الكبيرة الكائن بجوار النافذة الوسطى والمسدل فوقها ستارة باهتة، تفننت جينفرا في رايها اكثر من مرة، تمنع دخول الشمس في الغرفة ودخلت سيكا ابنة الشيفالية من زوجته الثانية الغرفة في هدوء، بعد ظهر يوم من ايام اغسطس. تسلل جسدها الهش الضعيف الى الظل النائم حيث تتحرك اشعة من النور، وتوقفت بجوار جينفرا، وكانت جالسة تكتب امام المكتب الذي صفت فوقه العديد من الكتب، وقالت:

ـ الكونتيسة هنا يا جنيفرا.

رفعت الفتاة راسها، وامالتها قليلاً لكي ترى الطفلة التي احنت نحوها وجهها الهزيل، حيث تحلم فيه عينان اردوازيتان مفكرتان جداً.

ـ اه... اهي هنا؟ ... سامضى لأحييها تحية الصباح.

ولكن يد سيكا الضامرة اوقفتها قائلة:

ـ كلا لاتذهبي يا جينفرا. لاريب انها جاءت لأمر خطير، وقد اتهموني ان لامكان لي هناك، ثم ان دونا فرانشيسكا قالت وهي ترى يعوق تلك اللحظة بالذات، اه، انك اتيت في الوقت

www.rewayti.net

المناسب يادون البرتو، وانا بحاجة إليك انت ايضاً. ثم دخل الثلاثة غرفة الصالون.

لم تزد جينفرا عن ان قالت،

- آه!

وسرت بوجهها رعشة خفيفة، وتملكتها موجة من الإنفعال، ازعجت لبضع لحظات الاستقرار الحزين لعينيها الزرقاوين الهادئتين والداكنتين كماء البحيرة تحت سماء الصيف.

وقالت سيكا وهي تداعب بطرف انامله الشعر الأسمر ذي التموجات المجعدة اللينة التي تتهدل في ضفيرتين على جبين اختها الكبرى،

- ربما انت من اجل زواج ياجينا.

حركة خفيفة من كتفي جينرفا رفعت البلوزة التي تغطي صدرها الضامر وقالت،

- إن ذلك يبدو غير معقول.. او لعله زواج متعذر.. فلا تتحمس جداً ياسيكا.

- ومع ذلك فإنني اعتقد ان الأمر لابد ان يكون كذلك، فقد سبق ان قالت اشبنيتنا انها سوف تزوجك، وزيجة حسنة فوق ذلك. وهي لاتهزل ابداً عندما تتكلم، واظن انه كانت لديها فكرة عندما قالت ذلك.

لم ترد جينفرا، واحنت راسها من جديد فوق الورقة التي امتلأ نصفها بكتابة ثابتة وواضحة. وبدات يد جميلة، رشيقة، سمراء شيئاً ما، تعاود عملها وارتدت سيكا، وجلبت مقعداً ثقيلاً من خشب البلوط، وجلست فوق مسنده وقد ادلت ساقيها الهزيلتين، وثنت صدرها، وعقدت يديها فوق جزئلتها القماش الأزرق الباهت من فرط الغسيل. وتاملت عيناها

الرزينتان والحانيتان وجه اختها الرقيق،وشفتيها الورديتين الباهتتين شيئاً ما والمنفرجتين، والجفن الكامد الذي تختلج على حافته اهداب ناعمة سمراء، تحجب في اغلب الأحيان العينين الجميلتين الوقورتين امام الأغراب.

وقالت سيكا فجاة،

- ارايت يا جينفرا؟.... لاظن ان دونا فرانشيسكا قد قدمتك مرتين لابن عمها المركيز اورسيللا عبثاً.

بدا كان جينفرا لم تسمع، وبدا وجهها هادئاً كيدها التي استمرت تسطر الكلمات في وضوح وعناية على الورقة السميكة.

ومع ذلك فقد مرت بذهنها تلك الفكرة التي خطرت بذهن سيكا الدقيق الملاحظة والمتبصر قبل اوانه، فلا ريب ان الكونتسة ريبزيني، تلك الصديقة المخلصة قد تعمدت مرتين وجود الفتاة النبيلة والفقيرة لديها في محاولتها لأن تزوجها مع الشاب الأرمل، قريبها. وزيارة اليوم والحديث السري هل لهما صلة بتلك المقابلتين؟

سرى شيء من الإنفعال في قلب جينفرا إزاء هذه الفكرة لا لأن المركيز اورسيللا قد احدث اثراً عميقاً جداً لديها وإنما لأنه بدا لها كرجل شريف جداً، لبقاً في تصرفاته وحاد الذكاء ودمث الأخلاق وعلى درجة كبيرة من الثقافة وقالت لنفسها عندما راته اول مرة انه رجل فاضل جداً، وبعد المرة الثانية فكرت، لاريب انه شديد التحفظ بطبعه وبارد شيئاً ما، ولكنه فاضل حقاً. ثم لم تعد تفكر فيه بعد ذلك إلا بطريقة عارضة. وإذا كانت قد تمنت الزواج لكي يكون لها بيت تشيع فيه الحنان، واخلاص طبيعتها المحبة فإنها قد دربت ذهنها منذ سن المراهقة لكي تسمح له ببعض الخلقات الرومانتيكية او الأحلام العاطفية.

www.rewayti.net

وعندما كانت تفكر في الزوج الذي تشتاق إليه، كان يبدو لها كرجل شاب رزين، فاضل جداً يكون موضع ثقتها وينصحها.. تحترمه وتقدره بين الجميع، كل منهما يحب الآخر حباً هادئاً عميقاً. وكانت جينفرا، في افكارها، لاتعطى لهذه المودة اسم الحب، فإن قلبها لم يصرف ابداً نبضات اشد عنفاً من تلك التي تحس بها كل يوم، والحب بالنسبة لها إنما هو كلمة خفي عليها معناها.

كانت اخلاق زوج المستقبل هذا، وغير الأكيد، هي التي تهمها وحدها، فعلى الأقل، في اللحظات التي جالت بذهنها فكرة الزواج لم تكن تفكر إلا في نفسها. لم تحاول ابداً ان تتصور شكله، ولم تقل ابداً؟ اريده ان يكون هكذا.. وفي المناسبات النادرة التي تواجدت فيها بعض الصالونات الصديقة لم يجعلها اي رجل من الرجال الذين قابلتهم سواء كان شاباً او متوسط السن، تفكر احب ان يكون زوجي مثله»

واذا كانت جينفرا قد احست إذن بشيء من الإنفعال إزاء فكرة ان المركيز اورسيللا الشاب قد وقع اختياره عليها، فذلك على الخصوص لأن الزواج بدا لها كتغيير خطير جداً ومقلق بعض الشيء، ولأنها تخشى ان تاخذ قراراً يربط كل حياتها.

لزمت سيكا الصمت الآن، وراحت تهز ساقيها الطويلتين، وهي لاتنقطع في النظر إلى اختها. ودخلت دبابة الغرفة وراحت تطن بعض لحظات ثم خرجت إلى الحديقة حيث الشمس ملتهبة، والزهور تنتشر فوق الأرض الرطبة، وهبت نسمة خفيفة فعطرت الغرفة بأريج دافىء الزهور ذابلة.

وفي الصمت المخيم، قرقعت الأرضية خلف الباب، ولم يلبث ان انفتح، وظهرت راس امراة سمراء لاتزال شابة، وقالت في إيجاز:

- تعالى يا جينفرا.

رفعت الفتاة راسها ونظرت إلى القادمة التي ظلت واقفة بعتبة الباب وبرزت في ظلمة الرواق الذي ظهر فيه وجهها الكامد والقلسي، وهيئتها القوية البعيدة عن الأناقة، في ثوب فاتح فضفاض اظهر سمنتها شيئاً ما. والتقت عينا جينفرا بالعينين التي عرفتهما غير مكترثتين دائماً وبعيدتين عن الرقة. ولكن كان هناك اليوم وميض يبرق فيها. وعادت دونا ماريا تقول:

تعالى يا جينفرا.. دونا فرانشيسكا تريد ان تتحدث إليك.

نهضت الفتاة. وكانت سيكا قد وثبت إلى الأرض، وراحت تنظرإلى امها بذلك الإهتمام العميق الذي يملأ عينيها المتاملتين بالظل. ولكنها لم تسأل عن شيء، فإن مجرد ظهور امها انباها بان هناك شيئاً غير متوقع... زواج جميل لجنيفرا بالتاكيد وبقيت مكانها جامدة. ومرفقها فوق مسند المقعد، مقسمة بين رغبتها من ان ترى اختها سعيدة وبين الخوف من الأفتراق عنها قريباً.

وعندما دخلت جينفرا وزوجة ابيها الصالون المعتم والمشبع بالرطوبة والذي تجمعت فيه احسن مفروشات البيت، كانت الكونتيسة ربيزيني تتكلم لأن الشيفالية كان لايحب ان يتكلم كثيراً، ويكتفي بقدر الإمكان وباهتمام شارد تقريباً في الإصغاء. ومع زمن فقد بدا اليوم مهتماً حقاً. وعندما راى ابنته تدخل ضحك ضحكة قصيرة ابعدت شيئاً ما الشفيتين الطويلتين

www.rewayti.net

والرخوتين. وطرفت عيناه تحت زجاج عوينته التي لاتثبت ابداً فوق انفه النبيل، وقال،

- هيا يابنتي العزيزة... تعالي حالاً لكي تسمعي النبأ السعيد الذي اتتنا به صديقتنا المخلصة.

قدمت جينفرا جبنيها لقبلة دونا فرانشيسكا. واحاطت المراة العجوز بذراعيها الكتفين الرقيقتين ونظرت ملياً إلى العينين الزرقاوتين المستفهمتين. وقالت،

- نعم ياعزيزتي ... إنني اتيتك بنبأ سعيد.

واجلست الفتاة بجوراها، على الأريكة، وامسكت بيدها يد جينفر وقالت على الفور،

- جينا، إذا كنت تريدين ان تتزوجي فهذه هي الفرصة. ان ابن عمي الشاب المركيز اروسيللا راك عندي. وطبقاً لما قلته له عنك يامل ان تكوني بالنسبة له الزوجة الوقورة والطيبة التي يتمناها، وقد اتيت إذن اليوم إليك كرسول يابنتي، فقد كلفني المركيز باولو اورسيللا ان اطلب يدك لابنه.

ارتسم لون ارجواني خفيف على وجنتي جينفرا العنبريتين، وارتعشت اهدابها وارتجفت يدها قليلاً في يد الكونتيسة، ونظرت إلى ابيها وزوجته وعيناها تقولان، مارايكما؟

ثنى الشيفالية شفتيه في شبه ابتسامة وقال بصوته الرقيق والمتانى،

- هذا زواج جميل ياجينفرا.. غير متوقع .. غير متوقع على الإطلاق.

واحنت دونا ماريا راسها السمراء بالموافقة، واردفت تقول،

- اجتمع كل شيء في هذا الشاب الذي يطلب الزواج منك، الثروة والجاه والأسرة العريقة العتيدة، والأخلاق الحميدة والصفات الثقافية والأدبية. انت مخلوقة سعيدة ياجنيفرا.

بدا شيء من المرارة في الصوت الخشن وهي تقول العبارة الأخيرة.

وقالت الكونتيسة في وقار،

- هذا صحيح وسيكون زواجاً جميلاً جداً. ولكن هناك مع ذلك شيء ينبغي ان لااخفيه عنك ياجنيفرا، ويتمسك سيلفيو نفسه أن تطلعي عليه، وهو انه احب زوجته الأولى، وكانت جميلة جداً، وفاتنة حب جنون، وهو لايزال يحبها ويتحسر عليها حتى الآن. وإذا تزوج فإنما ذلك نزولاً على رغبة ابيه الذي يؤرتق ان يراه يعيش وحيداً معه. ولكنه سيحبك بكل تاكيد لأنه عطوف وودود وكريم. بيد انه ستظل بينك وبينه، ربما لوقت طويل، ذكرى تلك الشقراء هيلين التي تزوجها في فرنسا بدون موافقة ابيه تقريباً، لأنها كانت من عامة الشعب.. سليلة عائلة عادية تشتغل بالصناعة، وثرية جداً وتحظى باحترام الجميع. وجثمانها مدفون في كنيسة صغيرة ملحقة بفيللا اورسيللا، ويحج سيلفيو إليها كل يوم، واستمرار هذه الذكرى، بعد ثلاث سنوات من الترمل لأمر يشرفه تماماً، يجب ان نعترف بذلك.

تمتمت جينفرا، اه.. نعم، هذا جميل جداً.

- ولكن، ستكون هناك مشكلة صغيرة بالنسبة للزوجة الثانية. ومع ذلك فانا لاشك ابداً في انك سوف تتمكنين ان تحتلي في قلبه المكان الذي تستحقينه حقاً، وسريعاً. وعلى كل حال فيهمني ان اذكر لك انه لن يكون هناك مجال للشكوى

www.rewayti.net

بخصوص المراعاة والاهتمام والأمانة الزوجية. اما بخصوص دون باومو، فهو اظرف الرجال في الدنيا، وسوف يعاملك كابنته العزيزة.

نهضت دونا ماريا وفتحت مصراعا لأن الظلام خيم فجاة في الصالون. ومرت سحابة امام الشمس، واحاط نور النهار المنعكس الذي اخترق عتمة الباب فجاة وجه جينفرا المتامل والخطير ووجه الكونتيسة العطوف والمفرط في الرقة في إطار الشعر الأبيض والقبعة القديمة الطراز وعادت دونا ماريا وجلست وهي تقول:

- ستقع عاصفة الليلة.

واردفت تقول على الفور:

- حسنا ياجينا.. مارايك في ذلك؟

نظرت جينفرا إلى زوجة ابيها، ثم إلى دونا فرانشيسكا وقد عتم زرقة عينيها الشديدة التردد والقلق وانفعال شديد، ثم قالت:

- لاادري... إذا كنت ترين انني يجب ان اقبل... انك تعرفينه جيداً يادونا فرانشيسكا، فهل تعتقدين انه سيكون زوجاً كريماً؟

- سيكون زوجاً كريماً جداً يا ابنتي ولن يكون هناك غير هذا الظل الصغير... وانه لموقف دقيق جداً طبعاً، وشاق بعض الشيء في ان تحتلي مكان امراة لايزال يتحسر عليها. ولكن لديك صفات ظريفة بحيث ان سيلفيو سرعان مايرتبط بك حقاً.

قالت دونا ماريا وهي تطرد بيدها ذبابة كانت تطن حولها،

- وذلك خصوصاً إذا انجبت له الولد الذي يتمناه لأن تلك هي أمنيته الشديدة بالطبع، والسبب الرئيسي لهذا القرار، فهو وابوه يريدان استمرار ذريتهما، وهذا امر طبيعي جداً.

وهز الشيفالية راسه وهو يردد قائلاً:

- طبيعي جداً.

وعادت دونا ماريا تقول:

- وقد رايته عندك ياعزيزتي الكونتيسة، وهو سيد عظيم وكريم جداً... انه رجل ظريف، ويبدو لي انك لايجب ان تترددي اكثر من ذلك ياجينفرا.

- اريد ان افكر حتى الغد ياأماه.

- تفكرين؟ وهل هذا ضروري مادامت دونا فرانشيسكا تقدم لك كل الضمانات.

تدخلت الكونتيسة وقالت:

- ولكنها على حق طبعاً. يجب على المرء دائماً ان يفكر، وان يصلي عندما يعرض عليه مثل هذا الاحتمال الخطير لتغيير حياته. اعطني ردك غداً. واذا كان إيجابياً، كما ارجو فسابلغ ابن عمي على الفور، وسياتي سيلفيو ليقوم بزيارته الأولى ويصطحبكم انتم الثلاثة إلى قصر ابيه لكي يقدم إليه كنته المقبلة. إلى الملتقى ايها الأصدقاء الأعزاء.

ونهضت وعانقت جينفرا، وكانت وجنة هذه الأخيرة ساخنة ومختلجة. ورافق الشيفالية وزوجته الشابة الكونتيسة حتى باب الحوش، ووقفوا بقبته ينظرون إليها وهي تستقل العربة الصغيرة المكشوفة التي يجرها جوادان سمروان ويقودها سائق وقور. وعندما انطلقت العربة عادوا إلى داخل البيت. وتعثرت

www.rewayti.net

قدما الشيفالية اللتان تعانيان من الروماتيزم في بلاط الحوش المنفصل. وقالت زوجته،

ـ هذا الأمر اصبح مزعجاً ولكن مالعمل؟ لابد ان ندع الخراب يعمل عمله مالم يقع حادث وياتينا بالمساعدة الضرورية.

ادركت جينفرا التلميح. سيكون الحادث هو زواجها بالمركيز اورسيللا، وحقدت شيئاً ما على زوجة ابيها لأنها افهمتها بذلك انها يجب ان تقبل وإلا اساءت الى اسرتها، افلم تقدم مايكفي من البراهين عن اخلاصها لأسرتها لكي يوفروا عليها هذا الإنذار المحجب الذي يبدو ان يكون له ثقله على قرارها القبل.

وقف الشيفالية في البهو المعتم، ونظر الى ابنته وهو يغمز بجفنيه المبتلين وقال،

ـ حسناً ياعزيزتي الصغيرة... واخيراً هذا قليل من الحظ يهبط علينا. ولكنني سافتقد سكرتيرتي الممتازة.

ورفع يده وداعب خد جينفرا وقد ارتسم في وجهه الشديد الإحمرار ندم مشوب بارتياح كبير. وردت عليه دونا ماريا قائلة،

ـ ولكنك ستفوز بصهر ممتاز ما كنت لتحلم به... وهذا افضل بكثير. مضت جينفرا نحو باب صغير يفضي الى الحديقة. كانت بحاجة إلى ان تنفرد بنفسها لحظة. وجلست في ظل شجرة تين، فوق مقعد قديم انثنت الواحة المنفصلة المبقعة تحت ثقل جسد جينفرا الرقيق. وكانت الشمس في طريقها إلى المغيب وراحت تنشر اشعة الشاحبة فوق الحديقة الصامتة التي امتدت إليها يد الإهمال، وحيث بعض الأماكن غير المزروعة تختفي خلف الأشجار التي شذبتها اليد الغير خبيرة للخادم العجوز ريكاردو الذي يقوم الآن بكل شيء. وفوق قاعدة مخضرة فازة سوداء مشقوقة... منظر حزين للخراب الذي حل بالبيت،

وطرقات صغيرة اجتاحها عشب شيطاني ينمو في غموض... شبح اخضر بين الأشجار المهملة والتي تتشابك في عنف. وهبت نسمة من الهواء، وسقطت بضع اوراق ماتت مسبقاً معلنة قرب انتهاء السنة.

راحت جينفرا تفكر وقد ضمت يديها فوق ركبتيها. رات امام مخيلتها الوجه الأنيق الاستقراطي للمركيز اورسيللا، وعينيه الرزينتين والذكيتين واللتين يبدو جمالهما الفائق عندما يشوبهما بعض التالق.

ودونا فرانشيسكا التي يمكن الوثوق بها تضمن اخلاقه الحسنة، وبهذا لايعترض اي شيء على قبولها هذا الزواج. بدا لها دون سيلفيو بالأحرى ظريفاً، كما بدا لها وفاؤه لذكرى زوجته الأولى شيئاً مشرفاً له. فقليل من الرجال يتميزون بمثل هذا الوفاء. ولن تشعر بجنيفرا ابداً بالغيرة من هيلين الشقراء، ولن تحاول ان تجعله ينساها ،فإن المراة الميتة ليست بالفرصة الخطرة، ولن تحاول ان تمنع سيلفيو من ان يمنح حبه شيئاً فشيئاً للمراة الشابة التي ستبذل جهدها لكي تكون له رفيقة ذكية ومخلصة ومحبة ومواسية كتومة لهذين الرجلين، الأب والأبن الذين اصبيا من اعز مخلوق لديهما.

سمعت صوت يدل على اقتراب ريكاردو العجوز وهو يجر قدميه، ومر امامها محنى الكتفين وهو يضم إلى صدره الخضر التي اقتلعها من البستان، واشعة الشمس تداعب باستمرار جبينه الأجرد، وتبطيء في رفق على ثيابه الثربة. وحدثت نفسها قائلة: إنه عجوز جداً، وما كان يجب ان يشتغل ابداً بعد وانما هو يعمل وفاء لنا.

www.rewayti.net

واطبقت عينيها لحظة لكي تحسن التفكير. وعندما ارتفع جفناها بهر ضوء النهار الحاد الذي يستعد يختفي بصرها لبضع ثوان؟. وقالت في صوت خافت،

لارى مادا يمكن أن يمنعني من هذا الزواج إنه افضل بكثير من كل ما اتمناه. وسيكونون هنا مسرورين.

٣

قام سيلفيو بزيارته الأولى كخاطب، في صباح اليوم التالي في الصالون المعتم الذي تزينه جينفرا واختها بالزهور. وكان لطيفاً لبقاً، راق لنسيبيه المقبلين ولسيكا. وقالت هذا الأخيرة لجنيفرا بعد ذلك بقليل، بينما كان ابواهما يستعدان لمرافقة الشاب لدى ابيه.

- إنه رجل فاضل جداً، وستكونين سعيدة معه ياعزيزتي جينفرا.

حملتهم سيارة دون سيلفيو بعد ذلك حتى السور الحديدي لفيللا اورسيللا، وكان تقع عند ابواب المدينة، ويرجع العهد بها الى القرن الثامن عشر، وتبدو شامخة بلبوابها ونوافذها العالية، وذات الألواح المتالقة في اطارات من الرخام الوردي اللون، وبطابقها الوحيد المزين باكاليل الزهور المنحوتة، وطنفة سطحها الأنيقة التي تتخللها، من مسافة لأخرى، تماثيل منقوشة نحتها فنان فلورنس كان يعيش في رعاية ال اورسيللا، ومات وهو في الثالثة والعشرين من عمره، وخبت بذلك حياة فنان كان يبشر بمستقبل عظيم.

وعندما هبطت جينفرا القت نظرة على الواجهة الجميلة الرمادية اللون والمزخرفة والتي يمتد فوقها نول الأصيل الملتهب.

سيكون هنا مسكنها، وبيتها فهل ستعرف قليلاً من السعادة بين هذه الحدران التي رأت بدايات ونهايات حيوان

www.rewayti.net

كثيرة، والتي ربما كانت مسرحاً لالام واسرار شاقة مكدرة؟ ما ان طرات ببالها هذه الفكرة حتى بدت لها الفيللا الارستقراطية والمرحبة غامضة فجاة ومرعبة تقريباً. وبحث بصرها تلقائياً عن بصر سيلفيو، ولكنها لم تلتق به، فقد اسرع الشاب وارتقى الدرجات الرخامية مستبقاً ضيوفه نحو البهو حيث يقف خادمان بثياب رسمية، اخبره احدهما ان اباه ينتظر الضيوف في الشرفة. وتحول سيلفيو الى جينفرا وقال لها في صوت خافت وهو مستمر في طريقه:

- ان بهذا الأب لهفة كبيرة في ان يعرفك. وقد قالت لنا دونا فرانشيسكا عنك خيراً كثيراً بحيث يخشى ان يصاب بخيبة امل. اما انا فاعرف تماماً ان ذلك لن يكون.

ردت عليه ابتسامة خجلة، وحدثت جينفرا نفسها قائلة، «ما اكرمه إذ يقول لي ذلك» وتسللت الى قلبها فرحة خفيفة ولم تفطن الى الجهد والبرود اللذين كانا يخفيان عن اي ملاحظ مدقق في المجاملة الرقيقة التي ابداها سيلفيو وهو ينطق بها.

وعلى واجهة الفيللا الأخرى تمتد شرفة من الرخام، ينتشر فيها الظل في تلك الساعة من النهار، وتصل إليها ورود وزينة حدائق اورسيللا، وتنبت فيها اريجها وشذاها العطر، وتغطى من تلك الناحية ايضاً جدار الفيللا، ويراها الناظر على مدى البصر، تلتف وتتشابك كستار فضي، ابيض اللون او اصفر بلون الكبريت حول جذوع الأشجار، وترتفع فوق قاعدة التماثيل الرخامية، وتمتد في شرائط تهبط منها اقدان مزهرة تهتز مع النسيم.

وكان دون باولو ينتظر فوق الشرفة وهو جالس على كرسي الكسيح، فقد اقعده الشلل منذ اربع سنوات. من وجهه الرقيق

والنحيف كوجه سيلفيو تحلم عينان ومضتا فجاة عند رؤيته للوافدين. وبعد ان مستا الشيفالية وزوجته توقفتا طويلاً على جينفرا، ولم تشعر الفتاة باي قلق او ارتباك امام نظرته تلك، فقد كانت نظرة زاخرة بالفرحة، وتكاد تكون ابوية. وكان دون باولو لطيفاً ورزيناً كابنه، وان كان اكثر منه دماثة وحفاوة طبيعيتين.

وبدا فوق ذلك انه سعيد حقاً بمعرفته لكنته المقبلة، وانها تروق له ويجدها مطابقة لرغبته الخبيثة في مواساة ابنه وتجمع الزائرون حوله. وكان الشيفالية قليل الكلام كعادته، ووصفت دونا ماريا بعبارات وجيزة وجافة تعلق الجميع بالكونتيسة ريبيزيني، الشديدة الأخلاص لأصدقائها. وردت جينفرا على اسئلة دون باولو بصوتها القوي الرنان الموسيقي الذي يروق كثيراً للاذان. وكان سيلفيو جالساً بجوارها،ويلقى بكلمة في الحديث من وقت لآخر. كان هادئاً من الظاهر. ولكنه كان يحاول التغلب على شجونه... تلك الشجون الموجعة، فقبل ذلك باربع سنوات، في حديقة نورماندي، وقع منظر مشابه، اب وام ينظران في فرحة وارتياح الى الخطيبين الجالسين جنباً الى جنب.. عينان زرقاوان رقيقتان ومتالقتان تنظران دون انقطاع الى سيلفيو، وتبتسمان لما تراه في نظرته من تدله وافتتان. وكانت الشمس تمس شعرها الأشقر، الشديد الشقرة والشديد النعومة بحيث بدا كانه اسلاك رفيعة رائعة من الذهب، وقد عرف سيلفيو عندئذ منتهى السعادة الأرضية في تلك الساعات الأولى من الخطوبة.

- يجمل بك ان تخرج بجنيفرا لكي تريها الحدائق ياولدي.

www.rewayti.net

اجفل سيلفيو إجفالة صغيرة، فقد حملته افكاره بعيداً عن الشرفة العطرة، بعيداً عن هؤلاء الأغراب، وعن تلك الفتاة الجادة والخجولة التي اصبحت الآن خطيبته.

- ولكن بكل سرور، إذا كانت هذه النزهة الصغيرة تروق لدونا وجينفرا.

القت الفتاة نظرة استطلاع الى زوجة ابيها، فاسرعت دونا ماريا تقول:

- اذهبي... اذهبي يا جينفرا.

هبط الخطيبان معاً، جبناً الى جنب، في بطء الدرجات الرخامية وسارا في طرق مشمسة بطول ارض تلقى عليها الأشجار المتقاربة بقعاً كبيرة من الظلال وراح سيلفيو يتحدث عن الورود وعن زراعتها، والتقت بعضاً منها وهو يمشي وقدمها لجينفرا وهو يسالها إن كانت تروق لها. وقال،

- إنها في طريقها الى الزوال الآن، ولكنك سترين روعتها في يونيو.

وكان يجول في خاطره في نفس الوقت: انيت هنا مع هيلين في هذه التعريشة المزهرة كلها بالورود، وكانت تضحك.

وكان الماء يتدفق من النافورات الرخامية، في ظل اشجار الريحان والغار، ويهتز من اخضرار مزرق ومتالق في الأحواض تحت النور الدافء لشمس ملتهبة، والبياض الكامد لأحد التماثيل يظهر في الظل الخفيف بطرقة دائرية بجوار اجمة من اشجار الجيرانيوم، وراحت جينفر تتامل المنظر في افتتان واعجاب، وتقول لنفسها، هل يمكن حقاً ان اكون في يوم قريب هنا، في بيتي.

وبعيداً، بين اشجار الصنوبر الهيفاء، تقع بحيرة صغيرة يحف بها نبات عرانس النيل الوردية، نزوة مركيز من اجداد ال اورسيللا ، فتحها واحاطها بسور حجري اصبح لونه اليوم رماديا، ضارباً الى الخضرة، وامتلأ بالشقوق واجتاحته الحشائش الشيطانية والأعشاب وتوقفت جينفرا لحظة وهي تنحني فوق الماء المصبوغ باللون الأخضر الداكن. ومالت قامتها الرشيقة في اناقة، وراح عنقها الرقيق والعنبري ينثني في حركات كلها رقة. وكان سيلفيو ينظر إليها الياً، نلاحظ ذلك كما لاحظ جمال قسماتها واناقة وظرف المظهر الجانبي لوجهها وسحر رموشها السمراء الطويلة والناعمة التي تختلج على حافة الجفنين. ومع ذلك فلم تخالجه اية فرحة فإن الإنفعال الذي كان يجيش به لم يكن له من سبب إلا معاناته وسخطه الخفي، فقد كانت الفكرة التي تلح عليه وتشغله هي، لماذا لاتزال هذه على قيد الحياة في حين ان هيلينتي..» حقد عليها بسبب جمالها الذي اكتشفه اليوم فجاة، فقد كان يجدها حتى تلك اللحظة تافهة ولاشان لها، بل كان يعتقد انها عادية ولاباس بها. ولاحقته ذكرى جمال هيلين الشقراء، وطرفها المرح وملاحتها واناقتها الرقيقة وهو مع تلك الفتاة الخجولة الرزينة جداً والمتحفظة جداً، والتي ترتدي ثياباً بسيطة دون ان تحاول ان تتدلل وتبدو وكانها تجهل تماماً كيف تظهر سحر ذلك الشعر الجميل الأسمر الذي تصففه بتلك الطريقة البشعة. وقال لنفسه عندئذ في شيء من الإرتياح المحزن، «لن تكون ابداً كهلين الساحرة والفائقة الأناقة» ولكنه لم يعد يفكر في ذلك الآن فإن تلك التي امامه ذات جمال لايقل ابداً عن جمال هيلين، وان كان يختلف عنه تماماً.

www.rewayti.net

تحولت قليلاً، فالتقت بنظرة متجهة اثارت دهشتها وجعلتها ترتعش شيئاً ما في قلق غامض. ولكن سيلفيو تمالك نفسه وتكلم من جديد، وفي شيء من الحماس عن ذي قبل، افما كان يجب ان يشغل نفسه لكي يجد القوة للمضي حتى النهاية، وان يقوم بدوره إزاء هذه الفتاة التي لم يكن يشعر نحوها بأي إحساس او شعور؟.

وعاد من ناحية الفيللا، وكانت حرارة الشمس قد بدات تخف، واشعتها التي فترت قوتها ولم تعد تحرق الزهور الذابلة، ولا الماء الراكد في الأحواض. وراحت رائحة الورود تتصاعد في الهواء الدافىء ممتزجة بشذى اشجار الصنوبر، وفكرت جينفرا، ماأجمل هذه الساعة! ولكنها لم تجرؤ على النطق بعبارتها هذه بصوت مسموع.

وفيما هما يقتربان من الشرفة اندفع كلب صغير من فصيلةاللولو، من طرقة مجاورة وهو ينبح في مرح، ووثب فوق سيلفيو وبدت من هذه الأخير حركة استياء وقال بالفرنسية في لهجة غاضبة وهو يدفع الحيوان عنه:

- اهبط ياتوبي.. اهبط... انصرف.

صاحت جينفرا: اوه! دعه.. إنني احب الكلاب كثيراً.

ومدت يدها، وداعبت الراس التي امتدت نحوها، ونظر توبي إليها بعينين يقظتين وبدا كانه يسالها من انت؟

- ما اجمله!... وما اجمل نظرته.. اتدعوه توبي؟ اهو كلبك؟

اجاب سيلفيو في إيجاز:

- نعم إنه كلبي!

وتوترت قسماته، وارتعش فمه قليلاً تحت الشارب الأسمر، والقى نظرة كئيبة الى كلبه الذي راح يلعق قفاز جينفرا في رفق، ثم مضى نحو الشرفة في صمت.

استطاعت جينفرا ان تج كلمات صائبة وظريفة تعبر بها لحميها المقبل عن اعجابها بالحدائق التي طافت بها. وتاملها دون باولو في ود ظاهر، واجلسها بجواره اثناء الوجبة الخفيفة التي قدمت بعد ذلك بقليل وراح يتحدث معها بصفة خاصة في حين افلح ابنه في ان يجعل الشيفالية اكثر لباقة تقريباً وهو يحدثه عن دراساته الحبيبة الى قلبه.

واعادت السيارة آل كامبسترس الى بيتهم. ورافقهم سيلفيو.

وعندما عاد مضى وانضم الى ابيه في الشرفة، وقال له هذا الأخير على الفور:

- لن اختيارك ممتاز جداً يابني العزيز.. هذه الفتاة تروق لي كثيراً.

- آه، هذا افضل ياأبي العزيز.

- وافضل من انت ايضاً ياسيلفيو.. اليس كذلك.

اجاب سيلفيو في برود:

- هذا امر لايقبل المناقشة. واخيراً يسعدني انك احببتها ياأبي.

- اعود واقول لك إنها تروق لي كثيراً، واظن انها ستكون رفيقة ظريفة لك ياسيلفيو.

لم يعلق الشاب على هذا القول. وظلت عيناه محدقتان في الكلب الراقد بجوار مقعد ابيه. ووجه الحديث الى خادم اقبل لرفع الأطباق الفارغة وقال له في استياء:

www.rewayti.net

ـ الم اوصك يا بنوتشيو ان تحتجز توبي بعد ظهر اليوم؟..
اهكذا تنفذ اوامري.

ـ فتح ماريو الباب فجاة فاندفع الكلب.

هز سيلفيو كتفيه وقال،

ـ اغبياء!

واخذ من فوق المائدة، بجوار دون بابلو سيجارا اشعله وهبط درجات الشرفة. ونظر ابوه إليه وهو يتبعد وفكر، حزيناً. ساخطاً، انه ماض الى قبرها. واليوم بالذات آه.. سيكون من الصعب ان تحمله على نسيانها.

وعند انحناءةالطرقة، القى سيلفيو بالسيجار واسرع في خطوته، وراى فجاة توبي قريباً منه، فتوقف على الفور، وطرد الكلب بحركة غاضبة وهو يقول،

ـ اغرب عني... اهكذا نسيتها حالاً؟ مع انها كانت تحبك كل الحب، وتستعد الآن لتتعجل ملاطفات الأخرى... اغرب عني.

وتغلغل في طرقة تصطف بها اشجار الصنوبر حيث تنساب الأنوار على جذوعها الطويلة في مروج كانت تتدلى فيها الفروع الثقيلة الأشجار الأرز التي اقتطعت وزرعت مكانها ورود نادرة واقيمت بينها كينسة صغيرة من الرخام، يرقد فيها رفات الزوجة الأولى للمركيز اورسيللا.

فتح سيلفيو الباب الحديدي الجميل المشغول، ودخل بخطوة ثابتة. كان هناك قبر تذكاري في الداخل تحيط به ازهار ترتفع من اوان انيقة، وفي اخر الكنيسة، فوق قاعدة من الرخام تمثال صغير من العاج للمسيح، باسطاً ذراعيه، وجاء نور الغروب الذي ينساب إلى الكنيسة من الباب المفتوح، واضاء وجه

الشاب الحزين، وراح يتلاعب فوق الألواح الزجاجية لنافذة صغيرة فوق راسه.

ركع سيلفيو ووضع جبينه وساعديه فوق رخام القبر، وبقي هكذا منهاراً فوق ذلك الضريح، والنور الحاد الذي ياتي من الخارج قد احاط براسه المحنية وكتفيه المرتعشتين، وتمتع في شيء من الضعف،

ـ لاتخافي يا حبيبتي، فلن تاخذ ابداً مكانك في قلبي. وستكونين انت حبيبتي دائماً، كما وعدتك.

ووضع شفتيه فوق الرخام، وعند هذه اللامسة الباردة مرت فيه رعشة خفيفة في دفء الكنيسة المعطر حيث تذبل زهور كثيرة.

روايات غاده
رحلة إلى عالم الرومانسية

www.rewayti.net

٤

ظهر دون سيلفيو، كل يوم، بعد ذلك، عند آل كامبسترس. كان يمضي الى البيت لكي يغازل جينفرا وكان يغازلها في تحفظ كبير، بحيث ان دونا ماريا رات بعد ذلك انه لاداعي لبقائهما بينهما لكي تقوم بدور القهرمانة المراقبة . ولم تشعر جينفرا من ناحيتها باي ضيق من وجودها بمفردها مع خطيبها، حيث ان مغازلاته لها كانت دائماً مشوبة بنوع من البرود، ولم تندهش او تقلق من هذا البرود، فإن غياب كل إحساس رومانسي لديها، وجهلها بامور الحب سمحا لها بان تواجه بكل هدوء فكرة ان دون سيلفيو يتحسر دائماً ،وبكل حرارة على زوجته الأولى. وان زواجه منها هي، جينفرا إنما هو زواج مصلحة. وكل ما اعتقدت انه من الأهمية القصوى هو ان المركيز اورسيللا بدا انه لايفتقر إلى سمو العواطف او إلى الاعتقادات الدينية الراسخة، او الذكاء التام المتروس.ووجدت انه من الطبيعي جداً ان لايشعر بعد بالحب نحو تلك الخطيبة التي كانت غريبة عنه تماماً قبل ذلك بوقت قصير. الم ترتبط هي نفسها به دون ان تشعر نحوه بشيء آخر غير الود والاحترام. سياتي الحب فيما بعد، عندما يعرف كل منهما الآخر معرفة جيدة. بل ان هذا الحب لن يتاخر كثيراً عن الظهور، كما يدلها قلبها على ذلك، لانها يوماً بعد يوم، كانت تشعر بان إحساساً

حلواً جداً ينمو في كيانها، ويربطها اكثر بذلك الذي كان غريباً عنها بالأمس القريب والذي ستغدو غداً شريكة حياته.

واظهر سيلفيو كرماً كبيراً نحو خطيبته ونحو اسرتها. وكانت دونا ماريا لاتميل بطبعها إلى إظهار مشاعرها، فاعترفت بانه رجل نبيل حقاً. اما الشيفالية فقد قدر الطريقة التي تحدث بها عن دراساته التاريخية، واحست سيكا من نحوه بالشكر والإمتنان لأنه قال ذات يوم وهو يربت بيده على وجنتها الشابة، يجب إرسال هذه الطفلة إلينا كثيراً، فإن هواء حديقتنا العليل سوف يصيبها بخير كبير.

عرفت جينفرا فيه لباقة وطيبة .. طيبة باردة شيئاً ما ومستترة وغير صريحة كطيبة ابيه. وعندما كانت تمضي الى الفيللا مع زوجة ابيها، كانت تشعر بالدفء التام لاستقبال دون باولو لها وباحتفائه الحار بها. وهو احتفاء كان يبدو كانه احتفاء ابوي. وكان يخيل لها انه يريد ان يمحو الإحساس الذي يمكن يوحي به برود ابنه. وفي اهتمامه الرقيق بكنته المقبلة كان يخال للمرء انه يكتشف فيه تلقائية لاتوجد في اهتمام سيلفيو بها، لأن اهتمام هذا الأخير كان قوامه مجاملة إجبارية.

وهكذا اقترب يوم الزواج. واعد ثوب الزفاف. وغطى بياضه فراش إحدى الغرف الشاغرة، وازدحمت مناضد نفس الغرفة والطبقة السفلى من الصوان الضخم بهدايا الزواج. واصطف قطع جهاز العروس فوق ارفف الدولاب زي الألواح السميكة المزينة بالزهور واوراق الشجر التي نحتها فنان في عهد سابق. وعندما كانت جينفرا تدخل تلك الغرفة كان يبدو لها انها تدخل دنيا جديدة كلها سحر وجاذبية، وقلق في نفس الوقت. كانت تمر بيدها على ساتان ثوب الزفاف، وتفتح العلب وتلمس

www.rewayti.net

الداتنللا وهي تقول لنفسها، هل صحيح.. هل صحيح ستتغير حياتي هكذا.

ولكن سرعان ما تتغلب الطمانينة على الخوف، فقد كان سيلفيو يوحي إليها بثقة كبيرة، كانت تزداد كلما ازدادت معرفتها به. كانت تجد فيه نفس افكارها، وتشعر بانها سعيدة إذ تتحقق من طبعه الحاد، ولاتشعر باي انزعاج وهي تراه منطوياً على نفسه. ثم انها كانت قد تعلقت به حقاً لما يزخر به طيبة ولمظهره الفاتن، وبحنانها الأنثوي والعذاب الذي يسحقه والذي لايزال يضنيه.

وفي ذات اصيل ذهب إلى ال كامبسترس في ساعة متاخرة اكثر من المعتاد، واعتذر برقته العادية قائلاً ان بعض الرسائل الهامة قد احتجزته. واستطلعت دونا ماريا رايه في نقاط مختلفة خاصة بحفلة الزفاف التي يجب ان تقام بعد ثمانية ايام، فاجابها وهو يبذل جهداً ظاهراً محاولاً التخلص من مشاغل تبدو في نظرته الشاردة والمتجهمة، ومضى مع جينفر وجلس في الحديقة، تحت شجرة التين. وتحدث عن الرحلة التي يجب ان يقوما بها عقب الزواج. وكان قد استطلع راي خطيبته قبل ذلك ببضعة ايام. وكانت هذه الأخيرة تود زيارة فرنسا ولكنها لم تجرؤ على النطق بهذه الأمنية، وهي تظن ان تلك البلد قد تعيد إلى سيلفيو ذكرى حلوة ومؤلمة. وقالت،

- احب ان ازور المانيا.

وكانت الشمس المحجوبة ترسل نورها الغامض فوق الحديقة الصامتة، وفوق الأوراق المتاخرة على الأغصان وعلى الزهور الداليا الأرجوانية والصفراء التي تثنى فروعها حتى الأرض، وترسل نورها الباهت على وجه جينفرا اليقظ والمبتسم

ووجه سيلفيو الشاحب بعض الشيء، بثينة على جبينه، وعلى شفيتيه المرتجفتين اللتين تنطقان بالكلمات بكل جهد بينما البال مشغول وبعيداً جداً... جداً. ولاحظت جنيفرا ذلك وتساءلت ماذا به إذن؟ إنه حزين ومشغول. ولو اجرؤ واسأله.

ولكنها لم تجرؤ، فحتى ذلك الوقت احتفظ دون سيلفيو بروحه مطبقة دون ان يظهر ولو لحظة واحدة شيئاً من عواطفه نحو خطيبته ولم تحاول هذه الأخيرة، اما خجلاً وحياء منها، واما وقاراً ورصانة، ان تغتصب الباب المغلق جداً والثري ربما يتالم خلفه ويتعذب قبل ذلك الرجل الذي اصبح عزيزاً عليها الآن.

وعندما انصرف سيلفيو بعد ذلك بقليل عادت جينفرا إلى الغرفة التي عتمها غروب الشمس، حيث كانت زوجة ابيها، جالسة بجوار نافذة تفرغ من اعداد جونلة لسيكا.

ورفعت دونا ماريا راسها لحظة وسالت،

- هل تعرفين مم يشكو دون سيلفيو؟.. كان يبدو مهموماً وشارد الذهن.

- كلا. لااعرف ذلك يا اماه.

- ربما يرجع ذلك إلى مشاكله. ان دونا سليا قالت لي صباح اليوم ان اهل زوجته الأولى عندما علموا انه سيتزوج من جديد طالبوه بان يعيد إليهم رفات ابنتهم، ولكنه رفض رفضاً باتاً، فهو يريد الإحتفاظ بها في قصره.

قالت جينفرا في صوت خافت،

- آه.

www.rewayti.net

وارتعشت اصابعها في عصبية وهي تاخذ براد الشاي من فوق المنضدة وتضعه على الصينية. وتعلقت عينا زوجة ابيها عليها وقالت في بطء،

- وليس هذا ظريف جداً بالنسبة لك.

- انا لست غيورة. إن هذا الإخلاص الذي يظل بعد الموت إنما هو جميل ويشرفه.

قالت دونا ماريا بلهجتها الجافة،

- اما انا فما كنت لاحتمل ذلك.

وضعت جينفرا في صمت الأقداح الفارغة فوق الصينية ومضت بها الى المطبخ ،ثم صعدت الى غرفتها، وهي غرفة كبيرة، قليلة الأثاث، صارمة المظهر كزنزانة في دير، يسودها ظل المغرب، وتفوح باريج الأوراق والزهور. واقتربت من نافذة مفتوحة. ولفح وجهها هواء ثقيل رطب. وكان المطر قد تساقط غزيراً منذ قليل وقطرات الماء لاتزال تتساقط من الأغصان في صوت خفيف رتيب، في الظلام الذي اخذ يشتد ويزداد، واتكات الفتاة على حافة النافذة الخشبية المتاكلة بفعل الزمن. واحست فجاة بانها حزينة وقلقة. وخيل إليها ان إحساساً غريباً عنها حتى الآن يحاول ان يتسلل إليها فما هو إذن؟ اهو غيرة.... اوه وكل هذا لايمكن ان يكون... وهل تغار من ميتة؟ اي جنون هذا كان يجب ان تشعر على العكس بالسعادة وهي ترى سيلفيو جديراً بمثل ذلك الارتباط المنيع. وفهمت الآن تماماً انه يريد الاحتفاظ بجثة تلك المراة الشابة التي احبها كل الحب، وهذا لايعني انه لا يمكن ان يشعر بالود نحو امراة اخرى.

سقطت على يد الفتاة قطرات ثقيلة... عاد المطر من جديد، فابتعدت جينفرا واغلقت النافذة. وفكت باصابع شاردة

ازرار ثوبها الأبيض وهي تفكر، لم يقل لي ابداً إذا كان يلائمني او إذا كان يليق علي.

www.rewayti.net
ARAYAHEEN

٥

كانت الأوراق الصفراء قد سقطت اثناء الليل فوق ارض الحديقة عندما سلكت جنيفرا ذات صباح الممرات التي لايزال يسري فيها هواء بارد مبتل برطوبة الفجر. وكانت ترتدي ثوباً منزلياً من الصوف الأبيض، موشحى بتطريزات عربية ذات الوان فاتحة وتضم وسطها وشاحاً هو الآخر من الصوف الأبيض الناعم. واضافت الطراوة الصباحية لوناً وردياً فوق اللون العنبري لبشرة الوجه المشرق واحجبت اللون الشديد الشحوب للشفتين الكبيرتين شيئاً ما. والفاتنتين في نفس الوقت. وكان دون باولو قد قال لها بالأمس،

- إنك ازددت جمالاً يابنتي العزيزة.

وهي بالذات قد تحققت من انها تغيرت بعد شهر من ارتباطها بسيلفيو، فإن الهموم المالية لم تعد تثقل عليها، وتخلصت من الحرمان المادي، ومن سيارة دونا ماريا المزعجة. ولكن اكثر من كل ذلك، غيرها حبها لسيلفيو شيئاً فشيئاً، طبيعياً ومعنوياً.

راحت تتقدم في الممرات الصغيرة المتعرجة ذات التربة المبتلة بالندى يطن حولها حفيف الأغصان الصغيرة التي يفيض اللون عن اكثرها، ويكسب الجو اريجاً صمغياً. ولم تلبث ان رات امامها الكنيسة الرخامية الصغيرة، بيضاء تماماً تحت الأشعة الذهبية لشمس الخريف الشاحبة، تحيط بها اشجار الصنوبر

الهيفاء، بقاماتها الخضراء الداكنة وقد تجردت من ازهارها، وراحت اوراقها الصفراء تتساقط الآن، وزهور الأقحوان الضخمة والقوية تزدهر في نشاط في بتلات متناثرة صهباء، بلون الذهب، ولون الأرجوان والثلج.

اقتربت جينفرا من الكنيسة، واسندت وجهها بالباب الحديدي الدقيق الصنع حيث تنحفر فيه شعارات آل اورسيللا ، ويتعانق فيه حرفان هما س وهـ. وتصاعدت إلى منخريها رائحة عطرة من الورود، ومن الزهور الكثيرة الأثيرة للميتة والتي تملأ الكنيسة دائماً.. راتها جينفرا بيضاء ووردية وقرمزية وكلها ندية وطازجة، في الظل الخفيف الذي تتخلله انعكاسات ضوئية مهتزة تتسلل من الألواح النيرة للنافذة الجميلة.. انعكاسات تلمس وتداعب بياض القبر الناصع. ولمحت جينفرا النقش المحفور بوضوع في الرخام،

هنا ترقد
في انتظار يوم البعث
هيلين مارس دوفوفيه، مركيزة اورسيللا
الزوجة الحبيبة لسيلفيو، مركيز اورسيللا
ماتت في باريس ١٠ سبتمبر سنة ١٩١١
وهي في العشرين من عمرها

انضمت يدا جينفرا فوق الباب الحديدي وضغطتا عليه، وتمتمت شفتاها، ليتغمدك الله برحمته، ولترقدي في سلام... نعم، تمنت من سويداء قلبها ان ترقد الميتة الشابة في سلام، في السعادة اللانهائية والتمست ان تكون سعيدة، وان تغمرها كل المسرات وفي الدنيا الفضلى التي توجد فيها الآن، ولكن لابد ان تترك الزوجة الثانية في سعادتها الصغيرة الأرضية، فلا يجب بعد

www.rewayti.net

ان تاخذ منها حب سيلفيو كما فعلت حتى الآن، فما حاجتها به في تلك الأيام السماوية في حين انها هي، جينفرا تتالم كثيراً لأن زوجها لن يحبها ابداً.

راحت تحلم وجبينها ملتصق بالباب. تذكرت ذلك الشهر الذي مضى، ورحلة الخمسة عشر يوماً من الغابة السوداء، واهتمامات سيلفيو بها ورعايته لها، وطيبته وحلاوة حديثه وتصرفاته.... ثم العودة والحياة الهادئة الرتيبة في الفيللا، في رفاهية كبيرة وترف اكبر، وحفاوة دون باولو الفائقة بها... وبرود سيلفيو.

كيف استطاعت ان تصدق قبل زواجها ان ذلك البرود سببه تاثير تحفظ مفرط. تحققت الآن تماماً انها لاتاثير لها اطلاقاً عند ذلك الرجل الذي لاتشغله إلا ذكرى امراة اخرى... ميتة.

ابتعدت عن الباب الحديدي في حركة عنيفة، والدم يغلي في عروقها بكل قوة في اندفاعة تمرد مباغت. سوف تناضل ذلك الشبح الذي يحاول فرض سيطرته على سيلفيو، وتنتزعه منه، فقد اصبح ملكها الآن.. فهو زوجها وهي تحبه.

وقالت في صوت خافت جداً وهي تنظر في تحد إلى الضريح الذي يسطع بياضه وسط العتمة.

- لم اعرف حتى الآن، ولم اجرؤ ان اظهر له حناني، ولكنه سوف يعرفه بعد اليوم، فيجب ان يحبني انا الأخرى.. ليس لك الحق في الاحتفاظ به، فهو لي ولايجب ان يحب غيري.

وارتجفت وسط النور الدافىء الذي ينتشر في المرجة الصغيرة التي تنمو فيها زهور الأقحوان الضخمة، وضغط عليها احساس محتوم حتى العذاب، لم تشعر به من قبل ابداً، ولكن لايمكنها

ان تتكتمه خاصة وان سيلفيو كان يغدو عزيزاً عليها يوماً بعد يوم، ولم تعد تحتمل إلا بكل صعوبة فكرة ان يكون حب زوجها ملكاً للأبد إلى الأخرى... إلى الزوجة الأولى.

ونكصت على عقبيها في بطء وراحت تفكر في اشفاق مزدر تقريباً بجهلها، وإذا اتصور انني اعتقدت منذ شهر، فحسب ان كل شيء يسير على مايرام... وعلى مايرام تماماً، وانه سيكون لكل منا محبة صغيرة هادئة، وان ذكرى الميتة لن تضايقني. ولكنني لم اكن اعرف ما هو الحب عندئذ. اما الآن فانني اعرف... اعرف انني احب سيلفيو وانه لايحبني.

وتوقفت فجاة امام بركة صغيرة يرقد فيها ماء اخضر بارد يبدو ذهبياً في نور الصباح فقد ظهر سيلفيو قادماً من ممر، بباطناً ولم تشرق نظرته عند رؤية المراة الشابة التي اصطبغ وجهها بلون وردي وقال،

- كنت اتساءل ماذا جرى لك ياجنيفرا، فليس من عادتك ان تخرجي مبكرة هكذا للنزهة.

- هذا صحيح... ولكنني اردت..

وامسكت. كلا. لن تحدثه عن تلك الزيارة الأولى التي ارادت ان تقوم بها للضريح الذي لم تكن تعلم عنه شيئاً حتى اليوم. ابداً، ابداً، لن تحدثه عن اي شيء له صلة بهيلين. ستتجاهلها ظاهرياً، كما لو انه لم يكن لها وجود.

واكملت عبارتها قائلة،

- اردت ان ارى البستان من هذه الساعة من النهار. كل شيء رطب جداً وهو خارج هكذا في قلب الليل.. وقد تباطات قليلاً ... هل كنت تبحث عني يا سيلفيو؟

www.rewayti.net

- نعم. أردت ان اخبرك بانني سارحل الى بيروز. ساقضى اليوم مع عمي، وساعود في الليل.

رددت جينفرا في دهشة،

- هل ترحل الى بيروز؟ ... ولكنك قلت لي امس اننا يجب ان نمضي الى سان لورنزو.

- تذكرت فجاة منذ قليل انني وعدت فيتوريو. تقريباً ان امضي لكي اراه اليوم. ولكن إذا كنت تريدين الذهاب إلى سان لورنزو فسول اؤجل الزيارة الى الغد.

كان في غاية الرقة كعادته، فحتى اليوم مأن تبدي جينفرا رغبتها في شي حتى يسارع الى تحقيقها على الفور.

وبادرت تقول،

- كلا، كلا لايجب ان تخيب امل دون فيتوريو سنقوم بنزهتنا غداً، وهذا كل شيء.

واحست فجاة بشجاعة كبيرة، فالقت بيدها التي ترتعش قليلاً على ذراع سيلفيو وقالت،

- وإذا اردت فساذهب معك إلى بيروز.

واشرقت عيناها الشديدتا الزرقة بحنان خجول. وراح وجهها يختلج من الأنفعال المكبوت في نور الصباح الهادىء وعادت تقول،

- ساذهب معك طبعاً ياسيلفيو.

قال في برود،

- سيكون ذلك إزعاجاً لك، فإن عمي رجل غريب الأطوار وبيته غير مرتب.

- اوه... انه يوم، وساتدبر امري فيه جيداً.

ولكنه اختتم حديثه دون أن يبدو انه سمعها،

- وفوق ذلك فقد يتضايق بسبب وجودك، لأنه زلق اللسان وربما ينطق بكلمة غير لائقة وسيضطر ان يحترس في كلامه.

- اه، إذ كان الأمر كذلك، إذ كنت ساضايقه...

وتخلت السيدة الرقيقة عن ذراع سيلفيو، وتدلت الى جنبها واردفت المراة الشابة وفي صوتها رعشة خفيفة،

- سنمضي غداً الى سان لرونزو.. وليست هناك اية اهمية.

وعادا الى الفيللا معاً، وتحدث سيلفيو عن تغيير يريد إنجازه في اخر جزء من الحدائق. كان يداوم دائماً على اطلاع زوجته على ككل مشروعاته، وعلى كل مشاغله العادية.. لكي يثبت لها، دون اي شك انها في بتيها، ولكي يوهمها بانها الرفيقة التي يكشف لها عن مكنون قلبه. وكانت تعرف تماماً ان كل هذا لم يكن إلا تظاهرا، وان روحه وقلبه لايزالون بعيدين عنها، وانهما مرتبطان الى الأبد بروح وقلب هيلين.

روايات غاده
رحلة إلى عالم الرومانسية

www.rewayti.net

٦

كان الشيفالية وزوجته يختلفان الى فيللا مرة كل اسبوع في العادة. لكن سيكا كانت تختلف إليها بطريقة اكثر، فإن سيلفيو اشفق عليها بسبب صحتها الضعيفة، وقال لها وقد لفتت نظره فظنها ورزانتها المبكرة،

- سيسعدنا دائماً ان نراك بيننا.

وراحت الطفلة تنتهز الفرصة دون حساب، وبدت لها الحديقة كانها اكثر اماكن الدنيا جمالاً، واخذت تتجول فيها، احياناً طوال الأصيل، بمفردها، دون ان يعرف احد مايدور في راسها من افكار. وعندما تكون بجوار جينفرا، كانت عيناها المفرطتان في التفكير تتابعان ما يعتمل على وجه المراة الشابة من انفعالات، وتغدو حزينة ومهمومة، وبدا كان حماسها الأول نحو سيلفيو قد.خبا، لأنها لم تعد تشترك في الثناء الذي يضفيه ابواها على المركيز الشاب.

واقبلت في اصيل يوم من ايام نوفمبر، وعندما رات ان اختها لديها مايشغلها مضت وحدها الى الحديقة، وانضمت جينفر إليها بعد قليل، وكانت الطفلة جالسة في اخر الممر، الذي يؤدي الى الكنيسة الجنائزية، ويدها على ذقنها وقد استغرقتها الأفكار وعندما رات اختها نهضت وسالتها هذه الأخيرة،

- ماذا تفعلين هنا... سوف تصابين بالبرد.

- اوه، كلا. انني ارتدي ثياباً ثقيلة... انني اتيت من الكنيسة وكنت افكر.

والقت يدها على كتف اختها وطبعت قبلة على الجبين المنحني،

- لاادري كيف كانت هي، ولكنك انت جميلة جداً ياعزيزتي جينا. قالت المراة الشابة مترددة،

- انها كانت اجمل مني بالتاكيد. ولكن هلمي بنا نعود الى البيت يا سيكا، فالجو بارد جداً بالنسبة لك.

وسارتا نحو الفيللا. وكان الهواء المشبع بالرطوبة النافذة يفوح برائحة الأغصان الميتة. وراحت خطوات الأختين تغوصان في الأرض، فوق الأوراق الميتة المتساقطة التي تتساقط باستمرار، يسبقهما بخطوات كبيرة الكلب الذي قدمه سيلفيو لزوجته، لأنها فوجئت عند عودتها من رحلتهما بانها لم تجد توبي بالفيللا، ورد سيلفيو على اسئلتها قائلاً،

- إنني بعته لصديق كان يريده بشدة ولكن يسرني ان اقدم لك كلباً آخر تختارينه انت وفق ذوقك.

وعرفت جينفر بعد قليل ان توبي كان كلب هيلين، وان هذه الأخيرة كانت تحبه كثيراً، وان سيلفيو اتخذه رفيقاً له في كل خطواته، حتى زواجه الثاني.

فهل تخلص منه كياسه منه ولباقة لكي لايحتفظ بجواره بتلك الذكرى الشاقة جداً لزوجته الأولى؟ ام تراه لم يشا ان يتعلق بوبي بالزوجة الأخرى كما تعلق بهيلين. وصدقت جينفرا في البداية النظرية الأولى، ولكن غامرها الآن الشك من ان النظرية الثانية هي الأصح.

www.rewayti.net

وقالت المراة الشابة تخاطب اختها، وهما تصعدان درجات الشرفة،

امض انت الى الصالون فانني اريد ان استعلم من زوجي عن شيء وسوف انضم إليك بعد ذلك.

كان الغرفة التي يتخذها سيلفيو مكتباً له هي الغرفة الأخيرة التي تفضي الى الشرفة. وكانت احدى نوافذها الكبيرة تظل مفتوحة دائماً في كل الأوقات مهما كانت حالة الجو. وعندما اقتربت جينفرا منها سمعت صوت حديث مرتفع بين شخصين، فتوقفت على الفور وهي تتساءل من الذي مع سيلفيو، وهل يجب ان تدخل رغم ذلك. كلا. من الأوفق ان تستفهم من الخدم اولاً وتسالهم من الموجود معه.

همت بأن تستدير لكي تعود على عقبيها عندما تناهت الى اذنيها كلمات باللغة الفرنسية ينطق بها رجل في لهجة غاضبة ومتضرعة في نفس الوقت،

- ولكن الا تفهم ياسيلفيو ان ذلك يكون افضل بكثير؟... فها انت قد تزوجت للمرة الثانية وانت الآن تحب امراة اخرى ... وهيلين المسكينة...

قاطعه صوت سيلفيو المرتجف والمشبوب قائلاً،

- انا، احب؟... احب؟... ماهذا الهزر؟ لقد كانت هيلين حبي الوحيد وستبقى حبي الوحيد دائماً.. انني احتفظ بها... انني احتفظ بحبيبتي الصغيرة المسكينة.

تراجعت جينفرا. كان هناك باب آخر مفتوح بجوارها، فدخلت اليا وجلست كيفما اتفق. وجدت نفسها في غرفة تدخين سيلفيو الخاصة.

وكانت هي نفسها قد زودتها في صباح اليوم بالذات بالزهور. فقد كانت تعرف انه يحب حوله النقاط الصغيرة الأنيقة المترفة. وكانت تهتم كثيراً بإرضاء ميوله المعروفة والمجهولة.

ولكنها رات الآن انها تبذل جهداً لاطائل منه، وادركت ذلك بكل قسوة رغم انها كانت تشتبه في الأمر، فامام حنانها الذي كانت تخفيه في حياء، كان سيلفيو يبقى على برودة، بل لأنها كانت تشعر بان هذا البرود يزداد يوماً بعد يوم.

وارتجفت من فرط الإنفعال المؤلم وهي تضغط وجهها الملتهب على المسند الجلدي للمقعد. اية مهانة لها بان تسمع تلك الكلمات، انا احب؟... احب؟.. وباية لهجة احتج هكذا؟ كلا. انها ليست بشيء بالنسبة له.. ليست بشيء على الرغم من الرباط المقدس الذي يجمع بهما، ورغم حميمية كل يوم.

من الذي معه؟ لاريب انه ابو الأخرس، جاء يحاول مرة اخرى إلانه قرار صهره السابق، وان ينقل تابوت ابنته. ولكن سيلفيو يريد الاحتفاظ به.. قال ذلك بلهجة حاسمة.

ومرت الدقائق وجينفرا غارقة في عذابها. واجفلت عندما سمعت جرس منبه قديم يصلصل معلنا الساعة الخامسة. لاريب ان حماها ينتظرها لكي تقدم له الشاي.. فنهضت واقتربت من مراة.

كانت قسمات وجهها لاتزال محتفظة بآثار الإنفعال الضعيف الذي علته منذ لحظات، ويجب عليها الإنتظار لحظة اخرى ريثما تسترد هدوءها تماماً.

ارتكزت يداها على مسند مقعد، وعكست المراة التي امامها صورة امراة شابة، هيفاء، ممشوقة القوام، جميلة التقاسيم، ترتدي بلناقة فائقة ثوبها المصنوع من القماش الفيروزي الأزرق

www.rewayti.net

الناعم الملمس ان وجهها وذراعاها اللذان يبزان من الكمين القصيرين فلم يعد بهما ذلك الهزال السابق، فإن صحتها لم تعد تعاني من الأنيميا، وعوفيت تماماً بفضل الحياة المادية والسخية والهانئة، ومع ازدهار صحتها ازدهر جمالها إلى حد كبير، ثم انها كانت تملك فوق ذلك سحراً رقيقاً قوامه طهارة نفس وحنان مكبوت وتمييز طبيعي واخلاقي غير طبيعي تقريباً .وساعدها ذكاؤها ا الحاد والمتبصر لكي تهتم بالمسائل التي يتعامل زوجها وحموها معها. وهكذا بدت وكأنها خلقت لكي تغزو قلب رجل كسيلفيو، ولكن ذلك الرجل يحتقرها ويستهين بها، ولايريد ان يرى فيها إلا الرفيقة التي اضطر ان يقبلها لمصلحة الأسرة لأنه يريد ان ينجب وريثاً لاسمه الفقيد، ويرفض أن يمنحها قلبه وفكره.

خرجت جينفرا من غرفة التدخين في بطء وسارت بمحاذاة الشرفة ومضت إلى الصالون الذي اعتاد دون باولو الجلوس فيه. وكانت الكونتيسة ريبزيني قد اقبلت لتوها، وسألتها وهي تضغط على يدها.

- هل تشعرين بتوعك ياعزيزتي جينفرا؟

- نعم. اشعر بانني متعبة قليلاً اليوم.

قال دون باولو وهو ينظر إلى كنته في مودة وعطف.

- إن جنيفرا تجهد نفسه كثيراً في شؤون البيت. يخيل إليها دائماً إن البيت ينقصه شيء.

اغتصبت المراة الشابة ابتسامة، ولم يخطر لأحد ابداً انها إذا كانت تجهد نفسها في اعمال البيت إلى حد التعب والإرهاق فذلك لكي تخفف من ذلك الألم المستتر الذي يزداد كل يوم كلما ازداد ادراكها بعدم مبالاة زوجها بها.

وفيما هي تفرغ من تقديم الشاي دخل سيلفيو، كان على جبينه ذلك الأثر يسببه استياء او اي انفعال يتعرض له ورات جينفرا الجهد الكبير الذي يبذله لمتابعة الحديث. تكلم عن عمه الأكبر شقيق جده، دون فيتوريو الذي يزداد شيخوخة ويطلب أن يراه باستمرار. والواقع ان سيليفو مضى لزيارته في بيروز مراراً في الشهر الذي انقضى. ولكن جينفرا لم تطلب إليه ان ترافقه ابداً.

وعندما رافق الزوجان بعد ذلك بقليل الكونتيسة حتى عربتها، انتهزت المراة العجوز فرصة ابتعاد سيلفيو لإصدار امر للخدم، وهمست في إذن جينفر متسائلة،

- حسناً ياعزيزتي... اسعيدة انت دائماً... ان سيلفيو طيب حبها، أليس كذلك؟

- اوه. جداً بكل تاكيد.

وحدثت نفسها وهي تجيب هكذا، يمكن للرجل ان يكون طيباً مع امراة ويشقيها في نفس الوقت كل الشقاء.

وعندما صعدت الكونتيسة إلى عربتها مصطحبة سيكا معها، عادت جينفر وزوجها إلى الداخل. وفي البهو قال سيلفيو وهو يوقف بحركة من يده المراة الشابة التي كانت تتقدم نحو السلم،

- تعالي معي لحظة.

تبعته حتى غرفة مجاورة، واخذ علبة من فوق منضدة وفتحها وعرض على جينفرا علبة عبارة عن تاج صغير من الياقوت الأحمر والماس، وقال،

www.rewayti.net

- خطر لي ان هذه الحلية سيكون لها المكان الحق في شعرك الأسمر، وانك ستشبكينهافي راسك في حفلة الكونتيسة بوريللي.

قالت، إنها رائعة، واشكرك.

وتاملت، لحظة، الحلية البراقة، في فراشها المخملي الداكن، ثم رفعت عينيها واستطردت في رفق ورقة،

- ولكنك غمرتني قبل ذلك بالكثير من المجوهرات من كل نوع، وارجوك ان لاتقدم لي منها شيئاً بعد اليوم، فإن مالدي يكفيني لكي يتيح لي ان اقوم بالدور الذي يمليه علي زواجي.

تعلقت نظرة المركيزة اورسيللا بوجهها الشاحب شيئاً ما. تلك الليلة، ذي العينين الرزينتين والحزينتين، وقال في لهجة بين الجد والهزل،

- انت لاتحبين الجواهر الآن إذن؟ انك عاقلة جداً حقاً ياجينفرا.

قالت في نفس الرقة وهو تحول عينيها عن عيني سيلفيو، وهي ترى فيهما شيئاً من الاستياء المستتر،

- لااجد فيها ما قد يمنحني شيئاً من البهجة...فهذه سرات لحظة ولاتلبث ان تزول بعد الدقيقة.

واخذت العلبة واطبقتها، وشكرت سيلفيو من جديد، ولكن بدون حماس، لأنه فكر فيها (ويالسخرية) ثم خرجت. وبقي المركيز وحده في الغرفة التي تضيؤها اباجورة وردية اللون، واقترب من نافذة ورفع ستارها المصنوعة من التل الشفاف، ونظر الى الخارج في حركة آلية وفكر، لعلها تحبني... ولنا لاريد ... لايجب علي.. فقد قلت لهيلين، ستكونين حبي الوحيد في الحياة وفي الممات، وانني اوفي بوعدي، وهذا لايكلفني شيئاً.

وستتالم جينفرا من ذلك قليلاً... ولكن إذا انجبنا طفلاً فسوف ينتقل إليه كل اهتمامها، ولن تفكر في كثيراً بعد ذلك.

وابتعد عن النافذة وتقدم بضع خطوات لكي يخرج من الغرفة بدروه. ولكن لفت نظره فوق السجادة منديل فانحنى والتقطه.. وتلك القطعة المربعة من الباتسته المطرزة برسوم رقيقة ملك لجينفرا، يفوح منها عطر جميل جداً ومحتشم جداً، وهو العطر الوحيد الذي تستخدمه المراة الشابة. ورفع المنديل الى فمه واخذ يشمه في بطء، ثم دسه في جيبه وغادر الغرفة

www.rewayti.com/vb
TARAYAHEENA

www.rewayti.net

٧

بدا الشتاء الآن، وباحت اعاصير عنيفة من الهواء تهب على الحدائق وتاخذ معها آخر الأوراق الميتة. وتألم دون باولو كثيراً من ساقيه المشلولتين، ولم يعد يغادر غرفته، فكانت جينفرا تمضي إليه وتقضي معه ساعات طويلة. وكان يبدي نحوها مودة حقيقية وتعاطفاً كبيراً لطيبتها ومعاملتها الرقيقة له.

كان شديد الملاحظة، وقد ادرك تماماً قوة ذكرى هيلين لدى سيلفيو، وخمن الحزن الذي تحاول جينفرا إخفاؤه، وشعر بالحنق سراً نحو ابنه، فإن برودة تجاه زوجته الشابة لم يكن ليخفى عليه، وهو يراهما كل يوم جنباً إلى جنب. ومع ذلك فإن جينفرا اصبحت امراة فاتنة، ولايمكن لأية امراة اخرى ان يكون لها تلك النظرة الساحرة إذا ما ومضت عيناها عندما يجتاحها إنفعال شديد، فاين كانت عينا سيلفيو عندما عاد إليه بعد اول لقاء له معها وقال له إنها بالأحرى جميلة ولكن باردة الشعور. كلا. لم تكن باردة الشعور، بل ان دون باولو ادرك انها جديرة بحب كبير وانها لاتجرؤ على إظهار مشاعرها لعزة في نفسها إزاء مجاملة زوجها اللامبالية.

ومع ذلك فإنه لم يقل شيئاً. فقد كان سيلفيو يحب إياه حباً عميقاً، ويحترمه ويطيعه في كل شيء إلا فيما يختص بشؤون قلبه. وقد تاكد دون باولو من ذلك عندما تزوج بهيلين دوفونيه، واضطر ان يخضع وان يمنحه موافقته إزاء اصراره

الشديد، كما تاكد انه من غير المفيد او بالأحرى ان من الضرر كل الضرر ان يطالبه بنسيان الأخرى لكي يعرف كيف يحب الثانية كما يجب. ولكنه لم يستطع ان يراه يحتفظ بموقفه تجاه جينفرا دون ان يحس باستياء خفي...

بل ان شعوره بذلك الاستياء راح يتزايد منذ بعض الوقت، فقد تبين له انه يمضي كل اسبوع الى بيروز، عند عمه حيث يقضي يوماً، وفي بعض الأحيان يومين. واعترف دون باولو انه لايفهم شيئاً من هذا التصرف نظراً لما يعرفه من الصفات الطبيعية والمعنوية للزوجة المهجورة، وهي صفات كان من الطبيعي ان تجعل اكثر الرجال تشدداً يحبها كل الحب. وكان يقول لنفسه احياناً، إن تلك السكينة هيلين خلبته حتى سويداء روحه، فهل يستطيع ان يتخلص من سحرها ذات يوم؟... إن جينفرا تملك كل شيء لكي تساعده على ذلك. فليساعدها الله على ذلك.

ولكن جينفرا كانت تزداد احباطاً يوماً بعد يوم، لأنها احست ان زوجها بدلاً من ان يقترب منها كان بالأحرى يبتعد عنها، ورحلاته إلى بيروز، التي يطالبه بها عمه، كما يزعم، إنما هي حجة بكل تاكيد لكي يتخلص من تواجد يزعجه ويضايقه في ارتباطه بالحبيبة الميتة. وبلغ الأمر بالمراة الشابة الآن إلى حد انها فكرت انه يكرهها.

وعلى مقربة من جناح سيلفيو، توجد الغرفة التي كانت هيلين تشغلها اثناء اقامتها القصيرة في فيللا اورسيللا. ولم تكن جينفرا قد راتها، فقد كانت الخادمة العجوز، سيرافينا هي التي تدخلها احياناً لتهويتها وإزالة الغبار عنها، ولكن جينفرا رات الباب مفتوحاً ذات صباح اثناء مرورها بها فتوقفت وقد استطفت

www.rewayti.net

نظرها صورة معلقة امام المدخل، فوق طاولة صغيرة قربه، لم يكن هناك شك في انها صورة هيلين المعشوقة والحبيبة. كان العشر الأشقر يتهدل في خصلات مفهافة فوق جبين ابيض رقيق ووجه بيضاوي جميل شديد الإحمرار وضاحك هو والعينان، وبالهما من عينين ساحرتين رقيقتين مرحتين. نعم. لابد انها تلك الهيلين كانت فاتنة، وان تصفيف شعرها بتلك الطريقة الجذابة تدل على ما كانت تتمتع به من دلال، وثوبها الأنيق والرقيق والشفاف يكشف كتيفين ناصعي البياض ومستديرين وذراعين رشيقين ومعصمين تحيط بهما الأساور.

وقفت جينفرا مكانها جامدة تتامل صورة تلك المراة التي استحوذت على قلب سيلفيو إلى الأبد. بدا لها ان خلف ابتسامة هيلين والمرح الذي في عينيها سخرية ما. كانت الفريجة الفائزة تقول لنفسها دون شك: هيا... حاولي ان تجعليه يحبك، وان تاخذيه مني، فانا لاخشى شيئاً لانه ملكي انا، حتى وانا في القبر.

وفوق الطاولة، في فازة من الصيني القديم تزدهر ورود، دليل ملموس للذكرى التي يحتفظ بها المركيز اورسيللا عن زوجته الأولى.

كان ياتي هنا بلا ريب لكم يحلم بها، وينسى بضع لحظات انه متزوج بجينفرا كامبسترس.

فاح من تلك الغرفة التي فتحتها سيرافينا منذ لحظات عطر نافذ، مسكر بعض الشيء. لاريب انه عطر الفقيدة، يحتفظ به سيلفيو هنا لكي يحس بوجودها اكثر.

فرقعت درجات السلم تحت خطوات الخادمة الثقيلة، فابتعدت جينفرا وهي تحتفظ في ذاكرتها بذلك الوجه الضاحك.

وهاتين العينين الزرقاوين اللتين تمتزج فيهما الحيوية بالحنين وفكرت في يأس اصم، انها من تلك النساء اللاتي لايستطيع المرء ان ينساهن حقاً.

وما كان اشد عذابها الخفي، فهي تقوم بكل واجبها من هذا البيت بنفس الإخلاص الذبوي والهادىء التي كانت تقوم به في بيت ابيها، ولكنها لم تعد تامل الآن في الفوز بحب سيلفيو، واصبحت كل رغباتها تتركز من هذه الفكرة، اود ان انجب له ابناً مادامت هذه الأمنية هي السعادة الوحيدة التي يتوق إليها.

غمرتها فرحة كبيرة في اليوم الذي عرفت فيه انها ستغدو اماً، وعندما اخبرت سيلفيو باملها رات لأول مرة في عينيه السوداوين المحجبين بالوهم والحزن وميض فرحة، وقال:

- إنك تسعدينني تماماً ياجينفرا.

وانحنة وهو يتكلم واخذ يدها وطبع عليها قبلة طويلة، اكثر قليلاً من المعتاد. وقالت في رفق:

- يسرني هذا فلست اريد إلا هذا.

تمتم: انت كريمة جداً... كريمة وظريفة.

وتهربت عيناه من العينين الواسعتين الزرقاوين اللتين يضيء عمقهما الهادىء الآن بانعكاس افكار اشد اضطراباً واخبرت جينفرا نفسها على الابتسام وهي تقول في هدوء:

- كلا لست كريمة جداً بالمعنى الذي تقصده. ولكنني احاول ان اكون كذلك، وهو امر شاق، وقد يساعدني طفلي الصغير على ذلك.

واخذت بدورها يد سيلفيو واردفت في انفعال، وهي تحاول ان تلتقي ببصره:

- وسوف نحبه، اليس كذلك.

www.rewayti.net

نظرها صورة معلقة امام المدخل، فوق طاولة صغيرة قربه، لم يكن هناك شك في انها صورة هيلين المعشوقة والحبيبة. كان العشر الأشقر يتهدل في خصلات هفهافة فوق جبين ابيض رقيق ووجه بيضاوي جميل شديد الإحمرار وضاحك هو والعينان، ويالهما من عينين ساحرتين رقيقتين مرحتين. نعم. لابد انها تلك الهيلين كانت فاتنة، وان تصفيف شعرها بتلك الطريقة الجذابة تدل على ما كانت تتمتع به من دلال، وثوبها الأنيق والرقيق والشفاف يكشف كتيفين ناصعي البياض ومستديرين وذراعين رشيقين ومعصمين تحيط بهما الأساور.

وقفت جينفرا مكانها جامدة تتامل صورة تلك المراة التي استحوذت على قلب سيلفيو إلى الأبد. بدا لها ان خلف ابتسامة هيلين والمرح الذي في عينيها سخرية ما. كانت الفريجة الفائزة تقول لنفسها دون شك، هيا... حاولي ان تجعليه يحبك، وان تاخذيه مني، فانا لاخشى شيئاً لأنه ملكي انا، حتى وانا في القبر.

وفوق الطاولة، في فازة من الصيني القديم تزدهر ورود، دليل ملموس للذكرى التي يحتفظ بها المركيز اورسيللا عن زوجته الأولى.

كان ياتي هنا بلا ريب لكم يحلم بها، وينسى بضع لحظات انه متزوج بجينفرا كامبسترس.

فاح من تلك الغرفة التي فتحتها سيرافينا منذ لحظات عطر نافذ، مسكر بعض الشيء. لاريب انه عطر الفقيدة، يحتفظ به سيلفيو هنا لكي يحس بوجودها اكثر.

فرقعت درجات السلم تحت خطوات الخادمة الثقيلة، فابتعدت جينفرا وهي تحتفظ في ذاكرتها بذلك الوجه الضاحك.

وهاتين العينين الزرقاوين اللتين تمتزج فيهما الحيوية بالحنين وفكرت في يأس اصم، انها من تلك النساء اللاتي لايستطيع المرء ان ينساهن حقاً.

وما كان اشد عذابها الخفي، فهي تقوم بكل واجبها من هذا البيت بنفس الإخلاص النبوي والهدىء التي كانت تقوم به في بيت ابيها، ولكنها لم تعد تامل الآن في الفوز بحب سيلفيو، واصبحت كل رغباتها تتركز من هذه الفكرة، اود أن انجب له ابناً مادامت هذه الأمنية هي السعادة الوحيدة التي يتوق إليها.

غمرتها فرحة كبيرة في اليوم الذي عرفت فيه انها ستغدو اماً، وعندما اخبرت سيلفيو باملها رات لأول مرة في عينيه السوداوين المحجبين بالوهم والحزن وميض فرحة، وقال:

- إنك تسعدينني تماماً ياجينفرا.

وانحنة وهو يتكلم واخذ يدها وطبع عليها قبلة طويلة، اكثر قليلاً من المعتاد. وقالت في رفق:

- يسرني هذا فلست اريد إلا هذا.

تمتم: انت كريمة جداً... كريمة وظريفة.

وتهربت عيناه من العينين الواسعتين الزرقاوين اللتين يضيء عمقهما الهدىء الآن بانعكاس افكار اشد اضطراباً واخبرت جينفرا نفسها على الابتسام وهي تقول في هدوء:

- كلا لست كريمة جداً بالمعنى الذي تقصده. ولكنني احاول ان اكون كذلك، وهو امر شاق، وقد يساعدني طفلي الصغير على ذلك.

واخذت بدورها يد سيلفيو واردفت في انفعال، وهي تحاول ان تلتقي ببصره:

- وسوف نحبه، أليس كذلك.

www.rewayti.net

سرت في وجه سيلفيو خفيفة، ونطقت الشفتان المرتعشتان بعض الشيء بهذه الكلمات في بطء.

- نعم سوف نحبه كثيراً.

ثم ابتعد المركيز قليلاً وهو يسحب يده، وتكلم عن العنايات التي يجب ان تتخذها جينفرا لكي لاتجهد نفسها، ثم انصرف بعد قليل. وبقيت جينفرا وحدها في الغرفة الجميلة التي تنمرها اشعة شمس الشتاء الدافئة. واسندت ذراعها على مسند مقعدها، ورجعت بافكارها الى الوراء، الى وقت خطبتها، حيث كانت هادئة تمضي دون خوف نحو المستقبل الذي يمثله هذا الشاب الرزين والكريم الذي اظهر مثل هذا المثل الجميل للوفاء الزوجي. لم تتصور عندئذ ان امراة ميتة يمكن ان تكون غريمة حقيقية ولكن سرعان ما تحققت من خطئها، وانتهى الأمر الآن فلن تكون بالنسبة له بعد الآن إلا تلك التي احتلت مكان هيلين.

وجرت دمعة على الخد الباهت، وانحدرت على خاتم الزواج الذي يحيط باصبع المراة الشابة.

٨

في نحو اخر الصيف اصيب الشيفالية كامبسترس بنزلة شعبية حادة لم يستطع مقاومتها، وقضت عليه تاركاً زوجته وابنته بدون مورد. وابدى سيلفيو كرماً كبيراً من تلك المناسبة. فبعد أن قدم هو وزوجته بكل إخلاص يد المساعدة لدون البرتو اثناء مرضه، وفر سبل المعيشة الكريمة لدونا ماريا وابنتها، وطلب منهما الاستمرار في الإقامة في البيت، بعد ان اشتراه لهما، واستطاعات جينفرا أن تتبين مرة اخرى تلك الطيبة المستترة التي دلت عليها اكثر من مرة، وعرفت ان كل ذلك، (وقد اعترف لها دون باولو بذلك) إنما يفعله من اجلها لانه تعلم انها تحب اختها كل الحب.

وإذا عبرت لزوجها ذات يوم عن شكرها وامتنانها قاطعها قائلا،

- اوه، ارجوك.. اود لو ان افعل اكثر.. اكثر بكثير.

كانا واقفين في غرفة مكتب الفقيد، حيث فرغا معاً من ترتيب بعض الأوراق. وكانت جنيفرا، في ثوب الحداد، جميلة جداً واحاطها ضوء الشمس الغاربة بنور كادر راحت تنبض تحته البشرة العنبرية المشوبة بلمسة خفيفة من اللون الوردي، واهتزت الرموش الطويلة فوق العينين المتاثرتين حيث راحت الحياة العميقة تتكشف منذ بعض الوقت.

www.rewayti.net

لم تعلق المراة الشابة على كلمات سيلفيو، فهي لم تر فيها إلا تاكيد ماسبق ان عرفته، وهو انه يحيطها بكل عناية ورعاية تعويضاً عن الحب الذي لايستطيع ان يمنحها إياه. ثم ان طيبته لأسرة زوجته إنما مصدرها ايضاً نفس الرغبة الخفية في التعويض.

وكان اوتافيو، اخو جينفرا يشغل وظيفة متواضعة في وزارة المالية . ولكنه نال اخيراً ترقية لم تكن في الحسبان وذلك بفضل توصية زوج اخته. اما عن سيكا فقد اعرب سيلفيو ذات يوم بانه سيقوم باللازم من الناحية المالية وانه سيتكفل بزواجها، وهكذا وجدت جينفرا نفسها في موقف لاتستطيع فيه إلا ان تشكره كل الشكر، وازداد حبها له بكل التقدير الذي اوحته إليها هذه الطبيعة الكريمة والفائقة الاستقامة، لأنها لم تستطع ان تلومه على عدم وفائه نحوها. لقد اراد ان تطلعها الكونتيسة رينيزي منذ البداية انه لن يحب ابداً امراة غير هيلين، وقد رضيت بذلك عن إدراك ومعرفة، ولايمكن ان ينسب الخطا إلا لها هي وحدها، لأنها لم تشك في تلك اللحظة في العواقب التي يمكن ان تنتج من هذه الأمور.

وفي مساء احد ايام مايو، وبعد ان ترنح سيلفيو من قراءة ديوان قصائد فرنسية كان يطلوه لزوجته في مخدعها قال في هدوء:

- اظن انني ساضطر إلى قبول دعوة صديقي سيرفوس، فاذهب واقضي عنده اسبوعين.

توقفت الأبرة الطويلة عن الحركة بين الأصابع الرشيقة للمراة الشابة، ورفعت عينيها إليه مشدوهة وسالته:

- هل تريد الذهاب إلى فرنسا؟

- نعم واظن ان من الأفضل ان اقوم بهذه الرحلة الآن بدلاً من اي وقت آخر، فإن صحتك جيدة، وصحة ابي تمر بمرحلة احسن، ثم ان سيرفوس قد دعاني مراراً كثيرة، وكنت ارد عليه بالرفض. ولكنه يتعلل هذه المرة بحفلة قربان ابنه، وانا عرابه كما تعرفيني ومن الصعب ان ارفض، اليس كذلك؟

- نعم، من الصعب شيئاً ما في الواقع.

راحت الأصابع الرشيقة تحرك الأبرة، وانخفضت النظرة الحزينة على التطريز الصوفي الأبيض الذي بدا يتخذ شكل مشد النهدين، وفكرت جينفرا: سيتخلص من وجودي، وسيمضي لكي يجد كل ذكرياته العزيزة.

ومضت بضع دقائق من الصمت، وراحت يد سيلفيو العصبية تتصفح بحركة آلية الكتاب الذي اطبقته قبل ذلك بلحظات.

وعادت جينفرا تحرك إبراتها في بطء، كما لو ان التعب قد اصابها فجاة.

ثم قال سيلفيو في رفق، مترددا بعض الشيء:

- ولكن إذا كان لايروق لك ان اقوم بهذه الرحلة في الوقت الحاضر، فيجب ان تصارحيني يا جينفرا، وانا على استعداد لتاجيلها الى تاريخ لاحق.

اجابت دون ان تكف عن عملها:

- ابداً ياصديقي، لاتغير شيئاً من مشروعاتك. سيبدو غيابك طويلاً لي بالتاكيد، ولكنك على حق... من الأوفق ان تقوم بهذه الرحلة الآن على كل حال.

- حسناً ساتصرف لكي ارجع بعد ثلاثة ايام.

www.rewayti.net

همت بان تقول، هكذا حالاً، ولكن امسكت هاتين الكلمتين، فقد ارادت ان تروض نفسها على عدم مبالاته، وان تحاول تقليده. ومهما يكن فإنه من الممكن ان يعيشا معاً من غير حب. ويكفي ان يكن كل منهما الاحترام الشديد للآخر، وان يكون بينهما تعاطف وود، بل وبعض الحنان، ويمكن للتعود ان يدعم كل ذلك، ويمكنهما ان يكونا رغم ذلك سعيدين بالمقارنة مع ازواج آخرين حل الإنفصال بينهما سريعاً، والكراهية في بعض الأحيان.

ورغم هذا القرار لم تنم جينفرا في تلك الليلة التي سبقت رحيل سيلفيو، وعندما ودعها في الصباح لاحظ على الفور سحنتها المتعبة والبريق المحموم في عينيها، فسالها.

- ماذا بك؟ هل انت مريضة؟

والقى إلى المراة الشابة نظرة بان فيها قلق يحاول التغلب عليه. اما هي فاجابت وهي تحالو ان تبتسم،

- كلا. إنما قضيت ليلة مسهرة فحسب، وغداً بعد نوم بضع ساعات سيزول كل مابي.

- راعي صحتك جيداً على الخصوص واطلعيني على حالاتك في خطاباتك.

واحاط كتفيها بذراعه، ومست شفتاه الجبين المنحني، ثم ازدادت التصاقاً به مدة اطول مما فعلت في اي وقت مضى.

- وإذا لسبب او لآخر اردت ان اعود سريعاً فلا تترددي في إبلاغي بذلك.

ارتجفت بين ذراعيه. وكان وجهها مثلجاً، ولكنها ابقت جفنيها منخفضين لكي لايرى توسل نظرتها والحب الكبير الموجع الذي لابد ينعكس فيها.

واردف سيلفيو في لهجة خافتة وتردد ملحوظ،

- إذا كنت تفضلين ان لا ارحل.

وابتعدت شفتاه في نفس الوقت عن جبين المراة الشابة، وتدلى ذارعه. وقالت جينفرا لاي صوت اصم،

- ولكن لا.. امض، فسوف تتسلى، وسيصيبك ذلك بخير كبير. ولكن لاتتاخر كثيراً في العودة.

وارتفع جفناها، والتقطت نظرتها بنظرة سيلفيو، حيث كان يبدو بقاء انعكاس وميض كبير متاجج خبا الآن او حجبه البرود العادي، لأن صوته استعاد لهجته العادية عندما قال وهو يضغط مرة اخيرة على يد جينفرا قبل ان يركب السيارة.

- خمسة عشر يوماً على الأكثر، وسابعث إليك باخباري غالباً.

نظرت جينفرا إلى السيارة وهي تبتعد عادت إلى قلبها في تلك اللحظة كل مرارة عذابها. وباخلها إحساس بانه يهرب منها.

اكانت بغيضة إليه إلى هذا الحد؟ هذه المجاملة الرقيقة وهذا التعجل لإرضاء رغباتها حتى قبل ان تنطق بها لم تكن غير قناع طبعاً، عند ذلك الرجل المغرم بامراة اخرى... قناع يريد ان يرفعه من وقت لآخر، بعيداً عن تلك التي احتلت مكان حبيبته هيلين.

عادت جينفرا إلى مسكنها في خطوات بطيئة، وجلست في مخدعها الصغير وهي تلقي نظرة حزينة على المقعد الذي كان سيلفيو يشغله منذ بعض الوقت لكي يقرا لها. كانا يمثلان من الظاهر احسن صورة للوفاق الزوجي التام. ولم يكن احد يرى تلك التي بينهما والتي تسرق من جينفرا حب سيلفيو، ومنذ

www.rewayti.net

ذلك الذي كان يظن ان تلك الميتة يمكن ان تكون في الواقع غريمة خطيرة للمراة الشابة الجميلة التي يحسد الجميع المركيز اورسيللا عليها.

ولكن هكذا كان الأمر في الواقع. كانت جينفرا تعرف ان زوجها يمضي كل صباح الى الكنيسة وينسق بنفسه الورود التي يضعها البستاني بامر منه في الخارج، وكانت تعرف ان صورة هيلين، في مكانها هناك مع قربانها من الزهور، في الغرفة المغلقة حيث يحتفظ سيلفيو فيها بعطرها المفضل، وبكل ذكريات زوجته الأولى دون شك.

وكانت على يقين ايضاً انه يمضي الى فرنسا ليعيش سعادته القصيرة، ويقتات من الفرحة الغامرة لذكرياته، في الأماكن التي عاشا فيها معاً، حيث تحابا. وكانت هذه الفكرة تمزق قلب جينفرا.

وتناولت الغذاء وحدها مع حميها، وبدا دون باولو شديد الاستياء لرحيل ابنه، وقد اشفق ان يخمن السبب الحقيقي لرحيله: وبدا ابوياً اكثر من اي وقت مضى، وحاول ان يسري عنها ولكن عبثاً. وبعد ان فرغا من تناول الطعام اخذ ذراعها ومضيا سوياً الى الشرفة، وادنت جينفرا مقعداً من المنضدة الصغيرة التي عليها ادوات التدخين، وجلست بجواره. وتابع دون باولو وهو يشعل سيجارة حركة الأصابع الرقيقة لليدين الجميلتين الارستقراطيين وهما تبحثان عن تطريزها في السلة، وقال في رفق:

- إي ابنتي العزيزة، يبدو عليك التعب اليوم حقاً، وارى انه يجب ان تستريحي فوق مقعد مستطيل.

- اوه، لاداعي لذلك، فانني على مايرام.. ليلة من نوم هادىء ستعيد الي قواي.

واخرجت من السلة وهي تتكلم تطريزاً على قماش من التل، بسطته فوق ركبتيها. في حين قال دون باولو:

- نعم شريطة ان تنعمي بنوم هادىء حقاً. ولكنني اخشى انك تعذبين نفسك كثيراً. (وانحنى واخذ يد المراة الشابة وهو يلقي نظرة ثاقبة حافلة بالعطف والحنان إليها) لم احدثك ابداً عن هذا ياجينفرا، فليس من اللائق ابداً ان يتدخل احد بين زوجين، ثم انه خطر لي انك سرعان ما تفلحين في ان تنتزعيه من ذكرى الأخرى. ولكنني اعلم انك تتعذبين وانه يعذبك دون ان يدري. اوه، هذا اكيد بالطبع، ولكن تلك الهيلين انه لاينساها، وانت تدركين ذلك طبعاً.

- اجل... ادرك ذلك، واتعذب وانت تعلم ذلك.. إنني اتعذب كثيراً.

واطبقت جفنيها لحظة ولكن دون باولو كان قد اسعفه الوقت لكي يرى في عينيها وميض خاطف لالم حاد ومستسلم، فقال:

- مسكينة انت يابنتي.. مسكينة انت.

وضغطت اصابعه على اليد الباردة رغم دفء الجو. وتمتمت جينفراً:

- انت كريم جداً.. واؤكد لك ان مودتك تساعدني كثيراً لتحمل هذه المحنة.

- وهي محنة لن تدوم الى الأبد ياجينفرا. وسوف ترين ذات يوم ان سيلفيو سيعود إليك بقلبه وقالبه.

هزت راسها وقالت:

روايات غاده
رحلة إلى عالم الرومانسية

www.rewayti.net

- كلا. ليس لدي امل في ذلك. إنه يحقد علي لانني حللت محل حبيبته هيلين، ويحتمل وجودي في صبر مستتر لم يظهره لي ابداً، ولكنني اشعر به كثيراً.

- انت تبالغين يا جينفرا.

- ابداً. وانا واثقة من ان هذا هو رايك انت الاخر.

انكر في ضعف، والواقع انه اشفق من ان تكون على صواب، فإن تصرف ابنه حيره، فرغم انه هو نفسه قد احب زوجته فإنه لم يفهم كيف يبقى سيلفيو بارد العاطفة امام سحر جينفرا النادر، وكيف لم يستطع ان يوفق بين الذكرى التي يحتفظ بها بكل تاثر لزوجته الأولى، وبين حبه لزوجته الثانية.

- الحق انني لااعرف فيم يفكر ياجينفرا صحيح ان هذه الميتة مازالت تسيطر عليه، وقد حزن ابني كل الحزن عندما ماتت، فقد كانت جذابة، ومرحة جداً، ورقيقة، ومدللة بعض الشيء. وخطر لي دائماً انها لم تكن على مستوى كبير من حيث الثقافة والصفات الحميدة، وان سيلفيو بعد مضي السنوات الأولى سيشعر بخيبة امل، ولكنه لم يعرف عنها غير جمالها، وغير حبها، ومما لاشك فيه انها بعد ان ماتت توجها بكل الفضائل الجميلة وكل المثاليات النادرة، كعادتنا دائما ازاء موتانا. وكانت هيلين حبه الأول، وابني من هؤلاء الذي يمنحون انفسهم كلية وليس جزئياً.

مست اصابع جينفرا، الياً، قماش التل الذي انزلق فوق ثوبها الصوف الأسود، واحنت راسها السمراء المرهقة، وعاد دون باولو يقول بعد صمت قصير:

- لم يرق لي ذلك الزواج، ولم امنحه موافقتي إلا على مضض مني، فإن الأنسة دونوفيه لم تكن تنتمي الى وسطنا. ويجب ان اعترف بانها كانت قد نشات نشاة طيبة وان كنت ارى انها كانت متحررة شيئاً ما. ولكن صحيح انني من جيل اخر... وعندما رايت انها مغرمة جداً بسيلفيو خطر لي انه قد يستطيع ان يغير تلك الفتاة الظريفة الضاحكة الى امراة رزينة، بسيطة وورعة، كما كانت عزيزتي بيانكا.. نعم، ربما.

وارتسم على وجهه تعبير يعني بوضوع انه لم يكن يعتقد ذلك. تابعت عينا جينفرا لهو زوجين من الحمام في الضوء الظليل لأحد الممرات. ولزمت المراة الشابة الصمت وهي تسمع الصوت المتاثر الذي يحدثها عن الأخرى، والذي يصورها على انها امراة عادية جداً وبالإيجاز امراة اجتماعية ومدللة وظريفة وربما رقيقة، وان حب سيلفيو جملها بصفات مثالية لاتملكها. وفكرت في صوت عال:

- إنها كانت جذابة جداً من النوع الذي يخلب الفؤاد، وذلك يبدو من صورتها. وكان جمالها رائعاً بدون شك.

- ليس باروع من جمالك. ولكنها كانت مختلفة جداً.

واردف دون باولو وهو يضع اصابعه فوق يد المراة الشابة، لم تكن لها مثلاً تلك السمة الدالة على الأصالة، ولاتلك الصفات الرقيقة التي تشهد باصالتك النبيلة.

هزت جينفرا يدها في حركة خفيفة، وتمتمت وهي تبتسم ابتسامة حزينة:

- ربما لم يلحظ سيلفيو ذلك.

- ظنك هذا غير صحيح، فقد قال لي ذات يوم، إن لجينفرا يدين رائعتين. صدقيني يابنتي. سوف يعترف بحقك، وسيفهم

www.rewayti.net

الى اي حد انت تتفوقين على هذه المسكينة هيلين، سواء من الناحية المعنوية او من الناحية الذكاء.

هزت راسها من جديد وقالت،

- كلاً لاظن ذلك. اشعر بانني عبء عليه. سيشعر باتم الارتياح لمدة خمسة عشرة يوماً سيستطيع ان يرى من جديد كل الأماكن التي غشياها معاً، وستكره كل الذكريات، وينسى بضع لحظات انه ارتبط بي. ثم يعود وقد امتلات روحه وامتلأ قلبه بصورتها اكثر من ذي قبل. ولابد لي من ان ارى من جديد عينيه وهما يتحولان عني، كما يفعل كثيراً منذ بعض الوقتز لابد لي من ان احتمل زياراته اليومية الى ذلك القبر حيث يمضي ويصرح لها بكلمات الحب التي لم ينطق بها ابداً لزوجته الحية.

كانت تتكلم في صوت خافت، وبلهجة مؤلة مشبوبة. وظهر العذاب المختفي اخيراً وافلت منها قهراً في تلك اللحظة التي باحت فيها بمكنون قلبها. وومضت زرقة عينيها الداكنة ببريق مضطرم اثار دهشة دون باولو وجعلته يفكر على الفور، ولكن هذه الفتاة المسكينة تحب زوجها كل الحب. انها تحبه اكثر مما كنت اعتقد.

واستمرت جينفرا تقول في نفس الصوت الخافت الذي يتفتت قليلاً،

- إنني افهم عذاب الزوجة التي يخونها زوجها، واحس الآن بشيء منه، فهو يهجرني انا من اجل امراة ميتة، ولكن ليس لدي اي اعتراض فقد انذرت بكل صراحة. ولهذا لاستطيع ان الومه فقد كان علي انا ان ارفض، ولكنني رضيت عن علم وبينه، وقد اوفى بكل تعهداته.

وسكتت وقد عقدت يديها فوق قماش التل الذي دعكته في عصبية، وراحت عيناها الحزينتان والمستسلمتان تنظران الى الأمام، في الضوء الدافىء حيث تتحرك الأغصان في الظلال. وهبت نسمة عطرة فوق راس دون باولو الصلعاء وشعر جينفرا الأسمر، وفكت المراة الشابة يديها ثم ضمتها وهي تقول في صوت شديد الخفوت،

- ولكنني لم اكن اظن عندئذ ان امراة ميتة يمكن ان تكون بهذه الفظاعة.

www.rewayti.net

٩

كانت اسرة سيرفوس تقضي شهور الشتاء في قصر دي بريل باقليم الإيسن. وهناك تعرف المركيز اورسيللا، بينما كان يمضي بعض الوقت بتلك التي غدت زوجته، فقد كان مسيو دوفوفيه يملك قصره وشركاته على مقربة من قصر سيرنوس. وكانت زوجته تدعى هي وبناتها لحضور الحفلات التي يقيمها آل سيرفوس. وما إن وقعت عينا سيلفيو على هيلين حتى وقع في هواها. وعاد بعد ثلاثة اسابيع الى بلدته. وحصل على موافقه ابيه بعد الحاح طويل، ورجع بعد ذلك وطلب يد الآنسة دوفوفيه.

وهكذا كان يعود الى كل احتدام ذكرياته بقبول دعوة صديقه. وهذا ما كان يبحث عنه بالذات. فقد راى من جديد ذلك الصالون الأنيق والمنير حيث ظهرت له هيلين لأول مرة، والحديقة وطرقاتها وممراتها، حيث تنزها معاً، وارض التنس التي كانت تمارس نشاطها، والجدول الصغير حيث جرفا فيه مراراً. وجلس على الشاطىء وارهف اذنية كما لو انه يامل ان يسمع رنين الضحكة الرقيقة التي طالما احبها. وراح يتمشى حول بيت دوفوفيه دون ان يجرؤ على الدخول، لأن العلاقات كانت مقطوعة بينه وبين مسيو دوفوفيه منذ ان رفض طلبه بتلك الصورة القاطعة. وفي وسط الخضرة الشديدة للمروج المزهرة بتلك الطريقة الفنية التي يقوم القصر بجدرانه البيضاء

ونوافذه العريضة التي تبقى مفتوحة اغلب الأوقات بحيث يظهر منها بذخ مافيه من رياس ومفروشات تدل على ذوق رفيع. وكانت مدام دوفوفيه ربة بيت ممتازة تتمتع بذوق كبير، وقد ربت بناتها، تحت هذا المجال، ولكن خيل لسيلفيو في بعض الأحيان.. اوه في بعض الأحيان النادرة ان هيلين تفتقر الى شيء.. ربما الاقتناع بان اللهو والمرح والرفاهية والحب ليسوا كل شيء في الحياة.

ولما كان لايستطيع الدخول، فقد راح يمشي بمحاذاة القصر، في المسار، في ساعة الغروب. كان بصره يغوص في الأعماق المعتمة للممرات. كان يراها. عندئذ شقراء جداً، معتمدة على ذراعه. وتضحك اوه، لقد كانت تعرف كيف تضحك. وجينفرا لاتملك هذه الموهبة الفاتنة. كانت ابتسامتها ظريفة طبعاً.. بل ان سيلفيو يعترف بكل إخلاص انه لم يعرف ابداً مثل تلك الابتسامة الجذابة، ولكنها ليست كضحكة هيلين.. كلا، لم تكن ضحكتها على الإطلاق.

واستمر يسير بمحاذاة السور، ووصل الى الباب الحديدي، والصق وجهه بالقضبان وراح ينظر. كان النور ينبعث من النوافذ في تلك الساعة، فراى الصالونين اللذين تليهما صالة البلياردو في آخر الطرقة. كانت هناك اشباح تمر وضحكات ترتفع. وكان احدهم يعزف مقطوعة موسيقية لرامو على البيانو. كان كل شيء كما كان من قبل. وراى سيلفيو في الصالون الثاني، من فتحة النافذة، الأريكة الصغيرة، في الركن، حيث كان يروق له هو وهيلين ان يجلسا. ما اروع تلك الساعات التي ذكرته بها تلك الأريكة الجميلة التي صيغت على طراز لويس الخامس عشر. عليها قالت لخطيبها ذات مساء، اتعرف

www.rewayti.net

ايها العزيز سيلفيو، انني اسمح لك بان تقبلني! وانه ليتذكر جيداً حلاوة تلك القبلة. اه... يالحلاوة ساعات الحب الأولى... تلك الساعات الجميلة حيث كان يرتجف من الفرح وهو يسمع ضحكة هيلين... ما ابعد كل هذا اليوم!.

وراح يضرب بجبينه القضبان التي يضغط عليها باصابعه في عصبية. كان يستمتع كل الاستمتاع وهو يسترجع كل سعادته، وروعة فتنة هيلين وسحرها وحبهما المشترك الذي لم يشوبه شيء طول تلك الشهور العشرة... كلا، لاشيء ولا حتى تلك الاحباطات الصغيرة التي تالم منها فقد كان في مقدوره ان يجعل تلك التي يحبها ان تكون اكثر استيعاباً للحياة الجادة، والحق ان هيلين قد اسعدته في تلك الفترة القصيرة سعادة لم يعرفها اي رجل غيره على الأرض.

وبعد ان امضى المركيز اورسيللا عشرة ايام عند سيفروي رحل الى باريس، فقد احتفظ في مقاطعة باسى بالبيت الصغير الذي اقام فيه بعد زواجه. بقي فيه كل شيء كما كان، منذ ان اختطف الموت هيلين في ظرف اربع وعشرين ساعة. وكان هذا البيت المزار المؤلم له كل سنة. وراوده هذه المرة، وهو يدخله احساس جديد امتزج بانفعاله الشديد واستطاع ان يتغلب عليه تقريباً. وهو احساس بانه يرتكب غلطة تقريباً نحو كائن عزيز، ولكنه لم يشا ان يتوقف عنده، فقد راح يرى، من جديد، بقلب منقبض من فرط الم الذكرى الغرف الظريفة الصغيرة التي عاش فيها. وفي الصالون الصغير الأزرق والرمادي، كان لايزال الكتاب الذي كانت تقراه عندما قالت ذات يوم «اشعر بانني لست على مايرام، ومن الأوفق ان اصعد لكي انام، ولم تهبط

بعد ذلك. واقترب سيلفيو، واخذ الكتاب الذي اصفرت جلدته، وكانت قطاعة من الورق لاتزال تشير الى الصفحة التي توقفت المراة الشابة عندها. واتى سيلفيو بحركة عصبية خفيفة، واعاد الكتاب فوق المنضدة. هذه الرواية الوبيلة والمنحرفة كانت سبباً لنقاش دار بينه وبين هيلين، في صباح ذلك اليوم بدا فيه مرضها المفاجيء والمميت بالذات. فقد اراد ان يمنعها من قراءتها ولكنها تشبثت برايها قائلة، جميع صديقاتي قرانها، وانا الوحيدة التي لم اقراها حتى الآن، وانني لأكون غبية تماماً.. لم انك صارم جداً ومتشدد ياسيلفيو، وهذا شيء يدعو الى الملك، وارجوك ان لاتهتم بعد اليوم بما اقرا.

وتكلم في حدة شيئاً ما عندئذ، واستاءت هيلين، ووقعت بينهما جفوة طوال اليوم.

وشد مالام نفسه كل اللوم بسبب هذه المشادة، وفي عنف اله اتهم نفسه بالظلم والقسوة حيال الميتة.. عفواً... عفواً لأنني ابكيتك، وراح ندمه يتابعه كلما فكر في ذلك اليوم الآن.. آخر يوم من سعادتهما.. حيث تسبب في إيلام هيلين.

ولكن جالت بذهنه اليوم افكار اخرى امام هذا الكتاب الذي يصفر ويبلى في هدوء، في ركن الصالون المغلق. وفكر قائلاً، ياللعزيزة المسكينة!.. لم تكن جادة ابداً، وكان في مقدوري توجيهها بكل رفق. وكانت تحبني حباً جماً بحيث انني كنت سافلح من تقويمها دون شك.

وسار بضع خطوات إلى الأمام ولكنه لم يلبث ان استعار ونظر إلى الكتاب. كان العنوان واسم المؤلف يظهران بحروف واضحة على الورق المصفر. ما هذه الرواية إذن بالذات؟.. لم يتذكر شيئاً ما.

www.rewayti.net

واقترب من المنضدة وتناول الكتاب، وقرا صفحة، ثم اخرى كيفما اتفق. وعاد كل شيء إلى ذهنه.. هذا الهذر من عقل مريض وماجن عرف شهرته بعض الوقت قبل ذلك باربع سنوات، اما الآن فلم يعد احد يتحدث عنه، ولكنه الحق الكثير من الضرر بالتاكيد، وهذا ماكانت هيلين تقراه، وتتمسك بقراءته جيداً؟

وبقي مكانه لايتحرك، والكتاب في يده، يفكر من الأوفق ان لاتركه، فقد يصدرون حكمهم على حبيبتي المسكينة هيلين بسببه، لو ان احداً راه هنا ذات يوم، وسيكون ذلك حكماً جائراً وغير صحيح، لأنها كانت على درجة كبيرة من الشرف. غير انها ككثيرات غيرها من النساء، كانت تلعب قليلاً بالنار.

واقترب من الموقد ورفع غطاءه، ولكنه توقف متردداً، فإن هذا الكتاب كان آخر شيء أمسكته بين يديها، وشق عليه ان يتخلص منه.

وانفتح الكتاب من تلقاء نفسه على الصفحة التي بها العلامة القرمزية ووقعت عينا سيلفيو على بضعة اسطر صعدت فجورها المقلق الدم إلى خديه ولم يلبث ان فكر، انها قرات هذا ولم تستمع إلى عندما حرمت عليها الاستمرار في قراءته مؤكداً لها ان مطالعته خطرة وآثمة وغير جديرة بامراة شريفة.

وانحنى واقتطع الأوراق ودعكها والقاها في الموقد ثم اشعل فيها النار. وارتفع حول الأوراق التي راحت تطوى في صوت ضعيف. وتعلقت عينا سيلفيو بها آلياً. لم تعد افكاره هنا وإنما اتجهت نحو الصالون ذي الجدران المكسوة بالأخشاب الفاتحة تقرا اعمال كبار الادباء، تلك الكتب التي تنبض بانبل المشاعر، وهي مشاعرها هي بالذات وتطبقها في حياتها كل يوم.

اعتدل سيلفيو في حركة استياء مباغتة. كيف يمكن ان يفكر في جينفرا في هذا البيت المكرس لإحياء ذكرى هيلين، وما هي تلك العادة التي لاتطاق والتي اتخذها منذ زواجه الثاني للمقارنة بين هاتين المراتين الشديدتي الاختلاف؟ إن لكل منهما فضائلها وعيوبها، وهو إنا فضل هيلين على جينفرا فسوف ينتج من ذلك الإقرار بتفوق الأخيرة على الأولى في بعض النقاط، من الناحية الأخلاقية، ومن الناحية الثقافية على الخصوص، فإن لجينفرا روحاً سامية جداً، وهي جديرة بالطبع بكل الفضائل وبكل الوفاء والإخلاص. انه يقدرها اكبر تقدير ويعجب بها كثيراً. ولاريب انه ما كان إلا ليحبها كل الحب لو ان هيلين لم تدخل حياته ابداً

صعد الآن بخطوات يثقلها الإنفعال السلم المكسو بسجادة ثقيلة، وفتح الباب بيد مضطربة، ودخل غرفة هيلين .كان عطر المراة الشابة يملأ جو الغرفة المغلقة، وثوبها الحريري الداخلي الذي كانت ترتديه ليلة موتها ملقى فوق مقعد، وقد استحال لونه الآن اللون الأصفر كما استحال لون الحذاءين الصغيرين المصنوعين من جلد الغزال. وبهت لون الستائر هي الأخرى في العتمة، ودوي الشبابيك المغلقة اضفت على الغرفة شبه عتمة مريحة على كل هذه الأشياء التي تذبل في بطء، في الظل الصامت.

دخل في خطوات خفيفة، كما لو انه يدخل معبداً، وتوقف بجوار الفراش، وعندئذ، وفي وضوح رهيب راى هناك المحتضرة... تموت وراي العينين الجميلتين اللتين تنشدان الحياة، ثم الجفنين المطبقين الباردين اللذين تجمدت فوقهما القبلات. كان كل شيء ماثلاً امامه.. اللحظة الفظيعة حين قال

www.rewayti.net

الطبيب «ليس هناك اي امل» والأسرار الأخيرة التي بسطت فوق نهاية تلك الحياة الفتية الرعناء جلالاً فائقاً. والاحتضار الهادىء الذي لم يتخلله اي خوف واليدين اللتين تتجمدان في يدي الزوج، وهذا النفس الخفيف الذي سمعه سيلفيو وحده، ثم كل.. كل ماتلى ذلك.

تهالك على ركبتيه بجوار الفراش، وامتدت يداه فوقه الملاءة المطرزة ودعكت الساتان الوردي، كما دعكتاه من قبل، في جنون مؤلم... الملاءة التي كانت الميتة الشابة راقدة فوقها. ولكن... اما تزال هنا؟... نعم. انه يرى وجهها الشديد البياض، والذي لايتحرك بين كتلة شعرها الأشقر المتهدل فوق الوسادة. كانت يداها مضمومتين، تحملان الصليب.. وانعكاسات في كل مكان... زهور تنشر في تلك الغرفة عطراً قوياً جداً، اعتقد سليفيو انه لايزال يشمه ويثقل على عقله.

ضغط بجبينه على الستان الوردي. عصف به الم بالغ لحظة وهو يستعيد هذه الذكرى، وعاش من جديد على تلك الساعات الفظيعة... تمرده ويأسه والأيام والليالي التي تلت موت هيلين... وادهشه انه استطاع ان يعيش كل هذا العذاب،واستعاد آلياً حياته كعازب بجوار ابيه، لم يعد يعرف فيم يفكر وماذا فعل. وبقيت تلك المرحلة من حياته غامضة، كل ما احس به انه امضى شهوراً في الظلام وفي البرد. ثم عاوده الإحساس بانه يعيش، وعاد إليه الوعي بالألم، وجعل منه رفيق حياته، لأنه ادرك تماماً انه لن يكون سعيداً على الإطلاق يوماً واحداً، ثم انه لم يشا ذلك، ولم يعد يقدر عليه، فقد اخذت هيلين حبه معها، في قبرها.

وتمتم في وله:

ـ نعم يا عزيزتي. انا لك دائماً. لك وحدك. لن احب امراة اخرى ابداً. وهانت ترين انني اعود، وانني اترك من اجلك تلك التي هناك، والتي اخذت مكانك، والتي لاحبها ياهيلين ولن احبها ابداً. إنني باق على وفائي لك يا حبيبتي حتى في الممات كما وعدتك.

ونهض في بطء، وخرج من الغرفة. وكان وصيفه صاعداً فقدم إليه البريدُ فاخذ منه الرسائل والجرائد ودخل غرفته. ورأى على مظروف خط ابيه العريض فاخذه وفضه مسرعاً وهو يقترب من النافذة لأن نور النهار كان يخبو.

كتب دون باولو إليه يقول:

«ارجو ان تعود الينا قريباً يا ولدي العزيز، فإن جينفرا كانت مريضة جداً، ولكنني ابادر واقول ان الطبيب بنيللي مطمئن ولايبدي اي قلق، فإن عزيزتنا جينفرا قد تحسنت كثيراً الآن. بيد انني احب ان اراك بيننا الآن، وقد اقترب الحادث المنتظر فجنيفرا عصبية جداً، وتشعر بشيء من القلق، واظن ان هذا بسبب غيابك. وانني اخمن انها تحبك كثيراً، ولعلها لاتعرف او لا تجرؤ على إظهار حبها هذا كما يجب انها مخلوقة ظريفة وكتومة ونفسها عزيزة، ولكنني اعتقد انها رقيقة جداً من يعرف كيف يفهم تحفظها، وانني اشكر الله كل يوم يا ولدي العزيز لأنه منحك مثل هذه الزوجة.

طالع سيلفيو بنظرة خاطفة نهاية خطاب ابيه، حيث تكلم دون باولو عن مواضيع مختلفة، ثم عاد إلى الصفحات الأولى، واعاد قراءتها من جديد. وتغضن جبينه، ومضى الى مكتب صغير وفتح درجاً من ادراجه واخذ بضع وريقات عاجية اللون مسطرة بخط نسائي انيق. ثم اضاء الأباجور وجلس امام المكتب

www.rewayti.net

الطبيب «ليس هناك اي امل» والأسرار الأخيرة التي بسطت فوق نهاية تلك الحياة الفتية الرعناء جلالاً فائقاً. والاحتضار الهادىء الذي لم يتخلله اي خوف واليدين اللتين تتجمدان في يدي الزوج، وهذا النفس الخفيف الذي سمعه سيلفيو وحده، ثم كل.. كل ماتلى ذلك.

تهالك على ركبتيه بجوار الفراش، وامتدت يداه فوقه الملاءة المطرزة ودعكت الساتان الوردي، كما دعكتاه من قبل، في جنون مؤلم... الملاءة التي كانت الميتة الشابة راقدة فوقها. ولكن... اما تزال هنا؟... نعم. انه يرى وجهها الشديد البياض، والذي لايتحرك بين كتلة شعرها الأشقر المتهدل فوق الوسادة. كانت يداها مضمومتين، تحملان الصليب.. وانعكاسات في كل مكان... زهور تنشر في تلك الغرفة عطراً قوياً جداً، اعتقد سليفيو انه لايزال يشمه ويثقل على عقله.

ضغط بجبينه على الستان الوردي. عصف به الم بالغ لحظة وهو يستعيد هذه الذكرى، وعاش من جديد على تلك الساعات الفظيعة... تمرده ويأسه والأيام والليالي التي تلت موت هيلين... وادهشه انه استطاع ان يعيش كل هذا العذاب،واستعاد آلياً حياته كعازب بجوار ابيه، لم يعد يعرف فيم يفكر وماذا فعل. وبقيت تلك المرحلة من حياته غامضة، كل ما احس به انه امضى شهوراً في الظلام وفي البرد. ثم عاوده الإحساس بانه يعيش، وعاد إليه الوعي بالألم، وجعل منه رفيق حياته، لأنه ادرك تماماً انه لن يكون سعيداً على الإطلاق يوماً واحداً، ثم انه لم يشا ذلك، ولم يعد يقدر عليه، فقد اخذت هيلين حبه معها، في قبرها.

وتمتم في وله:

ـ نعم يا عزيزتي. انا لك دائماً. لك وحدك. لن احب امراة اخرى ابداً. وهانت ترين انني اعود، وانني اترك من اجلك تلك التي هناك، والتي اخذت مكانك، والتي لاحبها ياهيلين ولن احبها ابداً. إنني باق على وفائي لك يا حبيبتي حتى في الممات كما وعدتك.

ونهض في بطء، وخرج من الغرفة. وكان وصيفه صاعداً فقدم إليه البريدُ فاخذ منه الرسائل والجرائد ودخل غرفته. ورأى على مظروف خط ابيه العريض فاخذه وفضه مسرعاً وهو يقترب من النافذة لأن نور النهار كان يخبو.

كتب دون باولو إليه يقول:

«ارجو ان تعود الينا قريباً يا ولدي العزيز، فإن جينفرا كانت مريضة جداً، ولكنني ابادر واقول ان الطبيب بنيللي مطمئن ولايبدي اي قلق، فإن عزيزتنا جينفرا قد تحسنت كثيراً الآن. بيد انني احب ان اراك بيننا الآن، وقد اقترب الحادث المنتظر فجنيفرا عصبية جداً، وتشعر بشيء من القلق، واظن ان هذا بسبب غيابك. وانني اخمن انها تحبك كثيراً، ولعلها لاتعرف او لا تجرؤ على إظهار حبها هذا كما يجب انها مخلوقة ظريفة وكتومة ونفسها عزيزة، ولكنني اعتقد انها رقيقة جداً من يعرف كيف يفهم تحفظها، وانني اشكر الله كل يوم يا ولدي العزيز لأنه منحك مثل هذه الزوجة.

طالع سيلفيو بنظرة خاطفة نهاية خطاب ابيه، حيث تكلم دون باولو عن مواضيع مختلفة، ثم عاد إلى الصفحات الأولى، واعاد قراءتها من جديد. وتغضن جبينه، ومضى الى مكتب صغير وفتح درجاً من ادراجه واخذ بضع وريقات عاجية اللون مسطرة بخط نسائي انيق. ثم اضاء الأباجور وجلس امام المكتب

www.rewayti.net

وراح يقرأ خطابات جنيفرا الواحد تلو الآخر بعد تطلعه فيها على اخبار ابيه واخبارها هي بالذات. وتصاعد من تلك الخطابات حنان مستتر، كما لو انه عطر خفيف لايجرؤ على الإنتشار. واطبق سيلفيو الوريقات بين بطيته واعادها إلى الدرج، واعتمد بمرفقيه على المكتب. وبدت في جبينه ثنية، وضغط على شفتيه في عصبية. ماذا يتصور ابوه إذن؟ إنه يعرف ان جينفرا تحبه طبعاً، ولكنه حب عاقل ومتزن يتدبر امره بالطبع لكي يجد فيه هو احساساً مشابهاً تقريباً... إن هذه الجينفرا، الهادئة الورعة جداً والمجردة من الروح الرومانسية لايهمها الحب كثيراً بالتأكيد. وكان هذا شيئاً سعيداً في هذه المناسبة مادام سيلفيو لايستطيع منحها إياه، وكان يفضل كثيراً ان لاتشعر بالحب نحوه.

صحيح انه خيل إليه في بعض الأحيان انه ينعكس في عينيها في بعض الأيام، ولكنه مخطىء، كلا. انه لايخشى شيئاً من هذه الناحية حقاً.

ثم اراد ان يعود بأفكاره إلى هيلين، الوحيدة التي يجب أن تكون هنا، في هذا البيت الذي عاشا فيه سعادتهما، وحيث عاش عذابه والامه. تذكرها في هذه الغرف التي فرشتها بنفسها. تذكر جمالها الأشقر الظريف. كانت تحب استقبال صديقاتها فيها، وهن صديقات كثيرات. كانت تحب الدنيا والأناقة والحركة.

وقد عاتبها سيلفيو على ذلك احياناً ولكنها كانت تضحك وتقول، صه ايها الحبوب.. إن هذا مدعاة سروري وفرحتي.. فكان يتقبل ذلك في تسامح. كانت تفتنه وتبهره. وكان ينساق لتلك الساحرة الجميلة ويمضي معها إلى المجتمعات وهو الذي يبغضها. وسمح لها بمزاولة ابهظ النزوات واغلاها. وعندما كان

يبدي ملاحظة كانت تضع يدها الصغيرة المزينة بالخواتم النفيسة على فمه في رفق... يد جميلة، ناصعة البياض، ولكنها قوية شيئاً ما، مع ذلك. لم تكن تملك رقة جينفرا الارستقراطية ولا مظهرها الممتاز. كان يشعر بشعور حقيقي وهو ينظر إلى اليدين الرقيقتين النبيلتين اللتين لاتزينهما إلا القليل من الخواتم الصارمة. ولكنها كانت مع ذلك يدي عاملة، مشغولتين دائماً في سبيل غاية مفيدة.. كانتا يدين رشيقتين لدنتين، حانيتين ومراعيتين.

اجفل سيلفيو في صبر نافذ وقال يحدث نفسه غاضباً، ولكن ما الذي يحملني على ان افكر هكذا؟. إنني اتيت هنا لكي اعيش ذكرى حبيبتي هيلين بضعة ايام فتأتي الأخرى وتزعجني وتعكر مزاجي، حتى هنا.

ونهض ، وهبط. ودخل الصالون الصغير المفروش بالرياش الزرقاء والسنجابية اللون، والذي يخيم الظلام فيه الآن. وتحسس طريقه حتى مقعد عريض واستلقى فوقه. واسند وجهه الملتهب على المسند الذي طالما اسندت هيلين خدها عليه، وحاول حقاً ان يجد من جديد عطر الشعر الأشقر فوق الحرير المطرز بزهور صغيرة استحال لونها وبدا يتغير.

روايات غاده
رحلة إلى عالم الرومانسية

www.rewayti.net

١٠

بدت الأيام طويلة، لانهاية لها اثناء غياب زوجها. وكما قالت لدون باولو، وجدت نفسها في حالة ذهنية لأمراة مهجورة بسبب غريمة قوية، انتصرت عليها.

كانت متاكدة تماماً ان سيلفيو مضى ليعيش من جديد ايام حبه في فرنسا، هناك حيث التقى بهيلين وتزوجها، وفقدها. وانه سيعود اكثر تباعداً من جدا عن زوجته الثانية، واكثر استعداداً للحقد عليها لانها احتلت مكان المحبوبة، ولأنها لاتزال تزخر بالحياة، في حين ان الأخرى قد ووريت الثرى.

انتظرت في جزع وفي فرحة راجفة، وعاد ذات يوم، في اخر الاصيل، وقد ازداد هزالاً، بعينين اشد اعتاماً في جوف محجريه المحفورين. وعاملها كعادته من غير ان يلاحظ الفرحة المكبوتة التي اضاءت نظرتها الجميلة حيث لايجرؤ الحنان على الظهور تماماً.

وكان وجيزاً في حديثه عن إقامته في فرنسا، وقليل الكلام كما فعل في خطاباته لزوجته وابيه، على انهما لم يسالاه شيئاً تقريباً، فقد اكتفيا بان يلاحظا التعبير الشديد الإنطواء والحزين والمعتم لسحنته لكي يتاكدا من صدق شكوكهما. عاد سيلفيو ومعه من فرنسا تحسرات اكثر مرارة، وذكرى مجددة ودافئة.

كانت جينفرا قد قالت لحميها انه لم يعد لديها اي امل. وكانت تعتقد انها صادقة في قولها هذا، ولكن الواقع انها كانت

لاتزال تحتفظ بالأمل... امل ضعيف في ان يكون سيلفيو لها كلية ذات يوم، ولكن ذلك الأمل تلاشى هذه المرة، عند عودته من تلك الرحلة، لقد ازداد برود سيلفيو. كان يبدي نحوها دائماً بالطبع اهتماماً ومراعاة ويهتم بصحتها، ويسارع الى إرضاع اقل رغباتها. ولكنه كان ينتهز كل الفرص، اكثر من ذي قبل لكي يبتعد عنها، ولهذا لم تعد تجمعهما جلسات المطالعة في المساء في حميمية الصالون الأزرق الصغير، كذي قبل، بعد انصراف دون باولو الى جناحه. وكان يزعم انه مشغول في كتابة سيرة اورسوليبريني، النحات الشاب الفلورنسى الذي كان يعيش في رعاية اسرته فيما سبق. ولهذا السبب قام برحلة الى فلورنسا، ثم انه كان يمضي الى بيروز ويقضي فيها يومين او ثلاثة ايام كل اسبوع. وعندما يبقى في البيت، كان جينفرا تحس كل الإحساس بانه يبتعد عنها بقدر المستطاع، مستخدما كل رقة ظرف لكي يتجنب ان تلاحظ ذلك.

ولكنها لم يعد في الاستطاعة للأسف ان تنخدع، فقد فهمت الآن تماماً عدم الإكتراث الذي يوليه لها، بل ربما اسوأ من عدم الاكتراث. واستسلمت لألمها المستتر، وراحت تبدي الآن برودا ظاهراً طمأن سيلفيو، وهدا مخاوفه وجزعه من ان يكون محبوباً منها.

وكان شهر يونية مشرفاً على الإنتهاء، وراحت الورود تكسو كل شيء الآن، واريجها يملأ دفء الجو طوال الليل... وراحت سيكا تحلم فوق فراشات الزهور، وترقد فوقها احياناً. وازدادت ضعفاً يوماً بعد يوم. وكانت اختا لدونا ماريا قد ماتت وهي صغيرة، في مثل سنها، من الضعف والهزال، وشابهت شيئاً ماتملك الخالة، ولهذا جزعت الأم وقلقت عليها كثيراً واخذت

www.rewayti.net

تستشير جميع اطباء البلد. وكانت جينفرا ترسل السيارة كل يوم لكي تاتي بالطفلة، فتقضي طوال بعد الظهر في فيللا اورسيللا. كانت شغوفة كل الشغف بالزهور، وخاصة الورود، وتطلب الجلوس في الأماكن الأكثر ازهاراً والأكثر كثافة والأكثر روعة وجمالاً. واتخذت بشرة اصابعها النحيلة شفافية صفراء. وكانت تعالج باصابعها الهشة إبرة الكروشيه بدون نشاط او حيوية، وجنيفرا بجوارها، تغطي بتطريزات جميلة ورائعة ثوباً حريرياً ابيض من غير اكمام. وكان سيلفيو ينضم إليهما احياناً، ويتحدث لحظة ويزجر سيكا اخوياً، وفي رفق لعدم قابليتها للأكل. ثم يعودون الى الشرفة ساعة الشاي وكان بعض الزوار ياتون احياناً، اصدقاء حميمون: الكونتيسة ربيزيني والشيفاليه بارنوتش وزوجته الدميمة الظريفة والكولونيل ايرلدا، وهو ضابط ممتاز ينتمي الى جزيرة سردينيا، اضطره حمى يكاد يكون تاماً الى اعتزال الخدمة، ثم المركيزة البدينة ترافينا، وهي سيدة فاضلة وبنتاها، ليزا المدللة وبريجيت المتحذلقة، وكل منهما تنشد زوجاً، بانتتها الصغيرة لاتستحيله ابداً.

وراحت الأيام تمضي هكذا. ورات جينفرا اللحظة التي طالما تمنتها تقترب، ونعنى بها لحظة وضع الطفل الذي يتمناه سيلفيو للإبقاء على ذريته كانت تبتهل الى الله ان يكون المولود ولداً حتى يشعر زوجها بذروة السعادة التي لايزال ينتظرها من الحياة. واصبح هذا الوليد موضوع حديثهما المستمر، وراحا يرسمان الخطط والمشاريع من اجله، ومن اجل تربيته. واصبح هو الرابطة التي تتيح لهما العيش جنباً الى جنب، وكل منهما يحتفظ في قرارة نفسه بسره هي، حبها من غير امل، وهو، حبه الراقد في القبر.

وبعد ظهر ذات يوم مضت جينفرا الى الحديقة لكي تنضم الى اختها، وكانت قد سبقتها هناك. ووجدتها مستلقية على الأرض، تحت فراش من الورود.. كانت الطفلة مغطاة بالورود، المتقطعة، ويداها مضمومتان على صليب من الأغصان والورود وصاحت جينفرا،

- ما هذا؟.. ماهذا الذي تفعلين ياسيكا.

رفعت الطفلة وجهها النحيل والأصفر بين شعر اسمر منكوش وقالت في هدوء،

- اردت ان ارى التاثير الذي يحدث وانا اتصور انني ميتة.

- ما هذه الفكرة؟... قومي ازيلي كل هذا.

وفيما كانت تتكلم بصوت يكاد يخنقه الإنفعال، انحنت ورفعت الصليب المزهر، واخذت يدي الطفلة، وارغمتها على النهوض.

ووقفت سيكا وطوقت عنق اختها بذراعيها وقالت،

- هل غضبت؟... لن اعود الى ذلك ابداً.. ولكن خطرت لي هذه الفكرة بغتة، فقد ظننت انني قد اموت وشيكاً.

- ماهذا الذي تقولين؟... وماهذه الأوهام؟

ضمت جينفرا اختها إليها بحركة غير شعورية وهي تنظر في قلق مكبوت الى الوجه الأصفر ذي العينين المفرطتي التفكير، وقالت سيكا في هدوء،

- وهذا يمكن ان يحدث لي كانت خالتي مرجريتا في مثل سني. ولكن تصوري انني لست خائفة ابداً. خيل الي ان روحي كانت امام الله، سعيدة تماماً، وانها تراك، وتحبك دائماً. كان هذا جميلاً جداً، وحسناً جداً، ثم اتيت انت. (وضغطت

www.rewayti.net

بشفيتها على خد اختها) ولكنني اوثر على كل حال ان ابقى على قيد الحياة، بالقرب منك.

وجلست بعد ذلك بجوار اختها، وراحت كل منهما تشتغل في تطريزها، وهما تتبادلان شتى الأحاديث. ولكن جينفرا كانت قد انفعلت كل الإنفعال. ولاحظ سيلفيو ذلك عندما اقبل بعد قليل، يبحث عن زوجته ساعة الشاي، وسألها وهما يعودان الى الفيللا،

- هل انت مريضة؟.. ام انك اكثر إرهاقاً؟

اجابته بالنفي، وروت له سبب انفعالها. واصغى إليها مفكراً وهو ينظر الى سيكا. وكانت تسبقهما ببضع خطوات ومعها كلب جينفرا. وقال،

- إن هذه الطفلة تفكر كثيراً، والروح تستهلك الجسد.

سالته جينفرا في جزع،

- سيلفيو. هل تعتقد انه يمكننا إنقاذها؟

- لتعشم ذلك يا صديقتي العزيزة. سوف نبذل كل شيء من اجل ذلك، فلا تنزعجي هكذا على كل حال... ارجوك.إنها مجرد فكرة جالت براس الطفلة الصغيرة، وسوف تنساها بعد لحظات.

- إن لسيكا آراء خطيرة دائماً، وافكار عميقة، ولاريب انها تفكر في الموت كثيراً، منذ ان اصابها المرض. ولكن يبدو انها لاتخافه (وسكتت لحظة ثم اردفت) وهي على حق. وددت لو ان اكون مثلها، فانا اخاف الموت.

وتقدما لحظة في صمت، وجينفرا تعتمد على ذراع زوجها، والهواء الساخن ذو الأريج الشذي يرفع حولها ثنايا ثوبها الأسود المتطايرة، وسالت سيلفيو وهي تنظر إليه بعينها الحزينتين،

- وانت؟ الا تخاف الموت، انت الآخر؟

مرت لحظة قبل ان يريد. ورات جينفرا رعشة خفيفة تمر بوجهه الضامر، بطول شفتيه المتوردتين جداً. وقال اخيراً في لهجة بطيئة وهو يرتجف رجفة خفيفة،

- تمنيته طويلاً، فهو الخلاص عندما يتعذب المرء.

سالته في صوت خافت ومتردد،

- والآن؟

- الآن.

خفض جفنيه، كما لو لكي يخفي عنها تعبير نظرته، في حين اردف يقول في تاثر رقيق،

- لم اعد اتمناه الآن، ما دمت ستمنحينني مسرات الأبوة.

وهكذا، عرفت ان مولد ابنها سيعيد الى سيلفيو تعلقه بالحياة التي سلبه منه موت هيلين.

www.rewayti.net

١١

راحت تنتظره منذ ذلك الحين باشد الرغبات احتداماً... ذلك الصغير الغامض الذي سيستطيع ان يفلح فيما فشل فيه حياؤها وحبها العميق... ولد على الخصوص، ولد لكي يعرف سيلفيو كل الفرحة الأبوية، ففي ذلك الطفل سوف تجد المرأة التي لايحبها والتي لن يحبها ابداً هدوء عذابها والمها، وربما نسيان هذا الحب الذي لاامل فيه

وجاء الى الدنيا في مساء احد يولية، في الساعة التي انتشرت فيها كل عطور الخارج في الليل. وكان ولداً ونظرت جينفرا الى السماء وهي تشكر السماء، فقد بدا لها ان كل العذاب الذي تحملته إنما هو ثمن زهيد نظير هذه السعادة.

اما سيليفو، وكان ممتقعاً جداً، فقد بدا بالغ التاثر. وطبع قبلة على جبينها من غير ان يتكلم، لم اقترب من المهد وتامل ابنه مدةطويلة... وكان ولداً رائعاً، كما قال الطبيب.

وكان الطفل جميلاً جداً في الواقع بالنسبة لوليد صغير، وعندما تفتح جفناه لحظ سيلفيو زرقة عينيه الداكنة، نفس زرقة عيني جينفرا.

ومع ذلك، فقد بدا في نهاية اليوم التالي، ان الحياة تخبو من هذا الجسد الصغير، المتين والقوي في الظاهر. وعندما جاء الطبيب في المساء قابل الشاب الذي ساله في قلق،

ـ إنني عاجز بكل اسف، فهو لن يستطيع ان يعيش، فإن القلب لا يخفق... وغداً سينتهي الأمر.

بقي سيلفيو لحظة لا ينطق ثم تمتم،

ـ وكيف سأقول لها ذلك؟

تحول بصره الى الغرفة التي تستريح جينفرا فيها، جد سعيدة، راى السعادة في عينيها، وادرك ذلك عندما ضغطت على يده وهمست قائلة،

ـ ما اجمل هذا اليوم! اليس كذلك يا صديقي؟

لم يقل بعد شيئاً لزوجت في تلك الليلة، وعمد الطفل من غير ان تعرف. كان لا يزال قلبه مفعماً بأمل مجنون، فلعل الطبيب اخطأ ولكن لورنزو الصغير لم يبق به غير نفس واحد في الصباح، وكان لابد من إخبار الأم. التي طلبت ان تراه، بالحقيقة.

توقع سيلفيو حزناً كبيراً لديها ولكن لم يبد في عينيها التي تحيط بهما هالة كبيرة غير قلق داهل. وتمتمت المراة الشابة في صوت اجش،

ـ الن يعيش؟... تقول انه لن يعيش؟ كلا... هذا غير ممكن .. لقد كان جميلاً جداً.

وتوردت وجنتاها الشاحبتان من فرط الإنفعال، وراحت شفتاها ويداها ترتعش، وتوسل سيلفيو إليها وقد تملكه القلق،

ـ امداي وهوني عليك يا صديقتي، ارجوك. هذا عذاب لنا معاً بالتاكيد، وقد احببنا هذا الصغير العزيز حتى قبل ان يولد. ولكن يجب قبل كل شيء الا يستولي عليك المرض و...

قاطعته بصوت مختنق،

www.rewayti.net

- اوه... وماذا يهمني انا؟... لو انني كنت احتضر ويعيش هوة لحمدت الله.

صاح صيحة صماء، وهو يضغط يدها في شيء من العنف،

- اسكتي... اسكتي... هل ينبغي ان تقولي هذا؟... وما هو هذا الطفل الذي جاء الى الدنيا بالكاد؟... امل، وليس باكثر من ذلك اما انت...

وامسك فقد فقدت جينفرا وعيها... موت الوليد ورحيل الجسد الصغير ونهاية السعادة المنتظرة منذ وقت طويل، كل ذلك لم يعد يهمه امام الموت الذي يهدد المراة الشابة.

ومع ذلك فقد قاومت جينفرا، وسرعان ماتماثلت للشفاء، وبقيت شاحبة وهامدة بعض الوقت، ولكنها راحت تبذل جهدها في اعمال البيت، واخذت تتحدث مع حميها وزوجها كما كانت تفعل من قبل. ولم تلبث شفتاها ان استعادتا لونهما الطبيعي واغتصبتا الابتسام. ولكنها، ما إن كانت تجد نفسها بمفردها حتى تفيض عيناها اللتان بدا كانهما اتخذتا لوناً داكناً اكثر منذ مولد الطفل، بالألم والحزن، وكانت تدور براسها فكرة ملحة، انني لم اعرف ان امنحه حتى تلك السعادة، ومع ذلك فهو لم يتزوجني إلا من اجل هذا.

كانت تعيش منذ شهور على هذا الأمل، تتاجج فيها تلك الرغبة في ان تحقق لسيلفيو امنيته، وان تمنحه تلك الفرحة التي لم تتحها له هيلين، والتي بدت الآن للزوجة المهملة انه انتقام من غريمة ترقد في قبرها، وانهار كل شيء، ولم ينل سيلفيو الطفل المراد وبقيت جينفرا الزوجة المحتملة من حيث الواجب.

كان كريما معهاً، يحيطها بكل اللاطفات والمجاملات، ويهتم بصحتها كثيراً. وكان دون باولو قد قال لها، اعتقد ان ابني سيلفيو المسكين يحبك اكثر مما تظنين، فهو لم يغادر فراشك ابداً وانت مريضة، وقد رايت انه كان شديد القلق عليك.

ولكن جينفرا هزت راسها، وقالت في حزن،

- كان متاثراً وهو يراني قريبة جداً من الموت، فنحن نعيش معاً منذ سنة، واعتقد ان في قلبه مايكفي لكي يشعر على الأقل بعذاب خاطف لو انني اختفيت، ولكن هذا لايدل ابداً على انه يحبني... وانا اعرف تماماً ما انتظره منه في هذا الصدد.

ذلك ان طريقة سيلفيو في معاملته لها بقيت كما هي في الواقع، واذا كان غيابه قد قل عن ذي قبل، واذا كان قد عاد لمطالعاته لها في صوت مرتفع فقد كان ذلك مجرد مجاملة واهتمام بزوجته المريضة. ولم يراودها اي وهم بسبب هذه العلاقة وتوقعت ان ترى نفسها وقد حرمت مابين يوم وآخر من هذا التواجد المتكرر الذي كان يروق لها رغم كل شيء.

كانا نادراً ما يتكلمان عن الطفل، فقد كانت خيبة الأمل ماتزال جديدة، ولم يشا اي منهما إحياء هذا الجرح. ولكن ذكرى الطفل الصغير الذي عقد عليه الكثير من الآمال كانت لاتفارقهما ابداً، خصوصاً في الأوقات التي ينفردان فيها، عندما يخيم عليهما الصمت، ويفكر كل منهما دون ان يستطيع البوح للآخر بافكاره.

ومر شهر اغسطس بحرارته اللافحة التي كانت ترهق جينفرا، وازداد ضعف سيكا. واقبل اوتافيو من ريبنتي في الأيام الأخيرة، فقد حصل على ثلاثة اسابيع إجازة، وراح يقضي كل اوقاته تقريباً في فيللا اورسيللا. كان شاباً وسيماً ورزيناً وذكياً،

www.rewayti.net

ولكن من طبيعة حالة لينة. وكان يحب اختيه كثيراً، ويدع اخته الكبرى تزجره من اجل ذلك دون ان يتخلى عن ليونته رغم ذلك.

وبدات المراة الشابة تستقبل اصدقاءها من جديد بسبب اخيها... اصدقاؤها الحميمون بعد الظهر، وهي مستمرة في تطريز الصليب الذي بدا بياضه الرقيق يتالق فوق الصوف الأسود لثوبها. وكانت النساء الأخريات يعملن هن ايضاً، وكانت ليزا واوتافيا يتبادلان الحديث دائماً، وقالت الكونتيسة ريينزي لجنيفرا، يبدو ان هذه الصغيرة ليزا تميل الىاخيك. ولكنها لاتملك غير دوطة هزيلة واوتافيو لايجتهد كثيراً لكي يحسن من وضعه.

وكانت جينفرا قد لاحظت هي الأخرى ميل كل منهما للآخر، وفي عشية رحيل اوتافيو تحدثت في ذلك مع زوجها، فقال لها على الفور،

- انا الآخر لاحظت ذلك، واعتقد ان هذا الزواج لن يكون سيئاً بالسنبة لأخيك، فان ليزا فتاة صغيرة، نشيطة ورزينة اكثر مما توحي به تصرفاتها المدللة بعض الشيء، والنقطة السوداء الوحيدة هي الوضع المالي، ولكن اذا كانت هذه الفتاة تروق حقاً لاوتافيو، فسوف نتدبر الأمر لكي نجعل له دخلاً كافياً.

قالت جينفرا في تاثر،

- ما اعظم طيبتك وكرمك يا سيلفيو!

لم يعلق على هذه الكلمات، وانما ارتسم على ملامحه توتر خفيف.

وغادر غرفة زوجته بعد قليل،

وفي نفس ذلك اليوم وجد اوتافيو نفسه منفرداً لحظة مع جينفرا، فحدثها عن ليزا ترافينا وقال انه يحبها، وانه باح لها بحبه وهو يقطف لها بعض الزهور من الحديقة.

وكان جالساً بجوار اخته، يعتمد بيديه القويتين البيضاوتين على مسند مقعد المراة الشابة حين وجهه نحوها، فقالت له في حنو،

- لقد خمنا ذلك، انا وسيلفيو.

وداعبت شعر اخيها الأسمر بيدها واردفت،

- وسنتحدث في ذلك بجدية اكثر الآن، وقد اعترفت لي بحبك لها.

وابتسم اوتافيو، وانحنى اكثر لكي يقبلها وهو يقول في مرح،

- وارجو ان نكون زوجين سعيدين مثل انت وسيلفيو يا عزيزتي جينا.

ارتجفت رجفة خفيفة وهي تحول وجهها لكي لايرى اوتافيو مانعكس في عينيها من الم وفكرت، هل نبدو حقاً زوجين سعيدين؟

www.rewayti.net

١٢

دار الحديث في فيللا اورسيللا، بعد رحيل اوتافيو، عن مناسبة تغيير الجو لجنيفرا وسيكا. واعترضت المراة الشابة على ذلك، فقد كانت لاتزال متعبة معنوياً وطبيعياً بحيث لم تشا الإنتقال. ولكن سيلفيو اصر، فقد دار بينه وبين الطبيب حديث قال له فيه هذا الأخير انها لابد تحتفظ، بسبب موت طفلها، بحزن عميق ودفين مستتر وانه يجب التسرية عنها لكي تسترد صحتها الجميلة التي اضر بها حقاً هذا الحادث المكرر.

وخضعت جينفرا من اجل اختها، لامن اجل نفسها. ونصح الطبيب بهواء البحر. وسألها سيلفيو:

- اين تريدين الذهاب؟ هل تريدين ان نختار احد شواطئنا الإيطالية او تفضلين التعرف بشواطىء فرنسا؟

كانت قد قرات رواية اعجبتها كثيراً ،خاصة لوصف المؤلف للشواطىء البريتانية، مادام سيلفيو يعرض عليها من تلقاء نفسه تلك الرحلة، في وطن هيلين، مجيباً بذلك رغبتها المستترة، دون ان يدري، فقد قالت على الفور:

- اود كثيراً معرفة بريتانيا، فلا ريب انها شديدة الاختلاف عن كل مارايته حتى الآن.

كتب سيلفيو لصديقه سيرفون يطلب منه بعض المعلومات عن مختلف شواطىء الساحل البريتوني. وتلقى بعد قليل خطاباً مستفيضاً مزوداً بكل التفاصيل لأن مدام سيرفون

من مواليد بريتانيا، وطافت بكل القرية، سواء على قدميها او بالسيارة، بل انها عرضت على المركيز اورسيللا الإقامة في بيت صغير ورثته، ويقع على شاطىء البحر، في خليج صغير، قريباً من قرية كريزنيك، قائلة انه مكان ممتاز بالنسبة للموقع... الهواء فيه منعش ولامثيل له ولكن ليس فيه من دواعي التسلية شيئاً فيما عدا الصيد والقنص، والنزهات جميلة جداً من هذا البلد الرائع.

صاحت جينفرا: هذا مانحن بحاجة إليه حقاً، ما دمنا ننشد مكاناً هادئاً.

وعلى الفور كتب سيلفيو لأصدقائه يخبرهم بانه يقبل عرضهم. رات جينفرا البحر لأول مرة في الصباح، وهي تفتح نافذتها. كانت قد وصلت في ... متاخر في مساء اليوم السابق، ولم تسمع غير الخرير الأصم، وامتصت رائحة الملح التي حملها إليها النسيم العليل، ولكنها راته في ذلك الصباح فسيحاً، هادئاً يتموج في غموض وقد كسته طبقة من الذهب الملتهب من اشعة الشمس التي تتوسط سماء زرقاء شاحبة تكاد تتخللها بضع سحب خفيفة. وهتفت المراة الشابة:

- ما اجمل هذا!

تقدم سيلفيو خلفها، وجاء واعتمد على السور الحجري للشرفة الصغيرة. كانت النسمة هادئة جداً. لفحت شعره الأسمر ووجهه الكامد ذي العينين المتاملتين وقال رداً على هتاف زوجته:

- نعم. إنه مكان رائع. كنت اعرف تماماً يا جينفرا انه سيحوز إعجابك.

وحول بصره عن البحر، والتقى ببصره المراة الشابة، وكانت قد رفعت عينيها إليه في تلك اللحظة، بدا وكان كل النور الساطع

www.rewayti.net

المنتشر بعيداً فوق الأمواج ينعكس في الزرقة الداكنة لعينيها الجميلتين الغامضتين. وارتعشت شفتاه شيئاً وهو يتمتم:

- ان لون عينيك بلون زرقة البحر هذا الصباح.

كان هذا كل شيء. لكن جينفرا لمحت في عيني زوجها تعبيراً كان مجهولاً عنها قبل اليوم، لأن سيلفيو افلح من ان لاينم عنه ارتباكه ولامشاعره الخفية في كل مرة اثر فيه سحر المراة الشابة. ولكنه اليوم كشف عن نفسه رغماً عنه، ورات جينفرا اثناء لحظة خاطفة من هاتين العينين اللتين تنظران اليها بكل هدوء الإعجاب العميق والمفتون بذلك الجمال الذي كان يبدو انه يتجاهله.

غمرتها فرحة مفاجئة. وبينما كانت تعيد بصرها الى البحر وتبدو كانها غارقة تماماً في تامل الاتساع الذي امامها، كانت تحدث نفسها وتقول: «لعلني تسرعت وفقدت الأمل. وتسارعت نبضات عروقها، وخيل إليها ان التدفقات المنعشة الآتية من البحر منحتها قوة جديدة وحياة اكثر احتداماً. وداخلها الأمل من جديد، كما فعلت في الشهور الأولى من زواجها، فكلما مر الوقت كان لابد لذكرى هيلين ان تولى وان تحمي، وسيلفيو بجوارها، وسيجدها جميلة ويعجب بها. وعرفت ذلك الآن، ويجب ان يقول لها ذلك يجب ان تاخذ من قلبه اخيراً المكان الذي تحتله الأخرى بدون حق.

وكان من تاثير هذا الأمل الجديد ان افلح فيما لم تفرح فيه الوصفات الطبية. وتغيرت جينفرا في بضعة ايام. واخذت تنتقل في البيت الصغير في نشاط كبير وتجمل المفروشات والسرياس القديمة بباقات من الزهور الخلنجية، كانت تعود بها هي وسيكا من نزهاتها. وكانت دونا ماريا من النساء اللاتي يفضلن البقاء في

البيت فازداد بقاؤها في ذلك البيت طواعية. ولكن الأختين كانتا تقضيان الساعات في الخارج، جالستين وسط الصخور، او تتنزهان في السيارة، ورافقهما سيلفيو في البداية، ولكنه بعد بضعة ايام بدا كانه شغف بالصيد والقنص فجاة، بحيث لم يعد يراه احد في البيت إلا في اوقات الطعام وفي المساء.

وفكرت جينفرا على الفور «إنه يهرب مني» ولكنها لم تستنتج من ذلك هذه المرة انه يكرهها، فقد اصبحت اكثر خبرة وحنكة، وعرفت قوة التاثير الذي تملكه وقالت لنفسها، إنه يخاف مني.. يخاف ان يحبني، فلماذا؟ لاادري ويجب ان اعرف ذلك، فإنني اريد ان يمنحني حبه الذي استحقه.

وبدا تغيير الهواء يفعل فعله مع سيكا، وتخفف قلق امها واختها، وستحرصان على تقوية صحتها المعتلة بعنلياتهما ورعاياتهما لها لكي تستطيع اجتياز تلك الحقبة المراهقة المميتة للخالة التي تشبهها سيكا. ولم تعد الطفلة تشير الى ذلك والى المشهد الصغير الذي اثر على اختها كل التاثير. ورات جينفرا ان الأفكار المتشائمة قد ابتعدت من هذا الجو الجديد.

كانت الأختان تغادران القصر عصر كل يوم، وتمضيان فتجلسان بين الصخور، اما البحر، والخليج يمتد امامهما سواء كان هادئاً او هائجاً تبعاً لنزوات الرياح، وبعد ان تبحث سيكا عن الأصداف تعود الى جوار اختها وتقضي وقتها في تامل الطيور وهي تحلق في الجو. اما جينفرا كانت تضيع مع اوهام طويلة امام البحر ومن الألوان المتغيرة والمناظر العديدة. فكانت تفكر في طفلها الصغير الذي مات، وفي املها الخفي الذي عاد يهتز من جديد امام سيلفيو. لم تعد ترى بعد ذلك في العينين السوداوين ذلك التعبير الذي جعلها تبتهج فجاة. فهل كان ذلك مجرد

www.rewayti.net

وميض خاطف لديه. اتراها اخطات عندما اعتقدت انها تستطيع التاثير عليه بحيث تمحو، شيئاً فشيئاً، بقوة جمالها، وبروحها العميقة المحتدمة ذكرى الميتة.

هكذا راح يتناوبها الأمل والخيبة. وبقيت على ماكانت عليه من قبل، لاتجرؤ على إظهار كل عواطفها لسيلفيو. وكانت من الإباء والرقة بحيث لم تلجا إلى التدلل او الإغراء. وترك إذن لله أن يحل هذا الموقف المؤلم. والتزمت باداء واجباتها محاولة كل جهدها حتى لاتطيل التفكير في حب سيلفيو الذي يلباه عليها. ولكنها عندما كانت تراه يبتعد وحده ساعات، وعندما كانت تتلقى منه قبلة خفيفة، تكاد تكون خاطفة، لم يكن يسعها إلا ان تفكر في مرارة. «لو كانت هيلين هنا بدلا مني ما كان يتركها هكذا، وما كان إلا ليقبلها بطريقة اخرى.

ومع ذلك. وبسبب تلك الومضة الخاطفة التي راتها في عيني سيلفيو عاد الأمل إليها من جديد، وبطريقة اكثر قوة، وقالت لنفسها إن النصر قد يكون لها، مع الوقت.

وذات مساء ذهب المركيز اورسيللا، قبل العشاء للقاء زوجته، وكانت في البستان الصغير، في الممرات المتعرجة. وكانت الشمس قد غابت، وبدا الليل يهبط في كبد السماء... الهلال الوليد للقمر تحجبه بعض السحب. وفي تلك العتمة الخفيفة بدا ثوب جينفرا الأزرق الباهت كانه بقعة كبيرة متحركة. واستدارت المراة الشابة وهي تسمع زوجها يقترب. واشرق وجهها الجميل باحتشام تحت النور الذي يشعشع والذي بدا ينتشر من ذلك الجزء الصغير من القمر.

- تلقيت كلمة من اصدقائي آل سيرفوس ياجينفرا. انهم الآن لدى اهل البارونة، في قصر جرينيلاك، على مقربة من

كيجري. والمكان لايبعد كثيراً عن هنا، وهم ينوون القدوم لزيارتنا في الأسبوع المقبل.

قالت جنيفرا في لهجة مهذبة:

- يسعدني جداً ان اتعرف بهم.

ولكن الواقع ان ذلك كان فوق احتمالها لأنها كانت تعلم أن المركيز اورسيللا راى هيلين دوفيغييه عندهم لأول مرة.

- يجب أن تعرض عليهم إطالة إقامتهم... افلا يضايقك ذلك.

- ابداً ولكن هل ترى ان إقامتنا المؤقتة تسمح لنا باستقبال ضيوفنا؟

- إن آل سرفوس قوم ظرفاء، يتلاءمون مع كل شيء. ويكرهون الاحتفالات. والبارونة امراة ظريفة ستروق لك كما أرجو.

تقدمت جينفرا بضع خطوات. وراح سيلفيو يسير بجوارها اوتوماتيكياً. وجاءتهما نسمة دافئة من البستان برواتح جنوبية تقريباً. تدفقت من تلك الناحية من الأرض البريتونية في آخر الخليج. ولمس ثوب جينفرا زهور الأسى التي تنمو فوق الأرض، وصعدت المراة الشابة درجتين خشنتين، والفت نفسها في شرفة صغيرة تظللها شجرة تين ضخمة. وتبعها سيلفيو، وتقدم، واعتمد بجوراها على الدرابزين الصخري القديم الذي تتخلله النباتات الشيطانية، ومعيداً، امامها خلال النور الغامض، سمعا اهتزاز امواج البحر الهادئة وهي تتكسر فوق الصخور مع حركة المد. وهبت نسمة خفيفة في الخليج ولفحت وجهيهما.

وسالها سيليفو:

- الم تشعري بعد بالملل من هذه البلد؟

www.rewayti.net

- اوه، ابداً. إنها تضم اشياء كثيراً جميلة.

- اشياء اكثر اختلافاً مما في بلدتنا اوبري؟

- اكثر اختلافاً في الواقع. فنحن لانجد هنا حلاوة بلدتنا الأومبرية ولارقة تلالنا الناعمة ولاسحر مناظرنا الطريفة الظليلة. كل شيء هنا متنافر ووعر شيئاً ما، وحزين. حتى النافورة القوة وسط هذه البناتات، وهي نباتات تميز تلك الأراضي الجنوبية والتي تبدو مع ذلك جد مختلفة تحت سحب هذه السماء البريتونية، في الجو الرطب والنور الدائم الهدوء. ولكن سحر بريتانيا هذه سحر اخاذ جداً. الا ترى ذلك انت الآخر؟

- بالتاكيد، وقد عرفتها مثلك، وراق لي ان الود إليها كثيراً.

كانت تعلم بالطبع انه جاء إليها قبل ذلك مع هيلين. وهو لم يقل لها ذلك وانما عرفت بالأمر من دون باولو الذي اردف يقول:

لم تكن هيلين تحب تلك البلد. وكانت تجدها حزينة ومملة.

بدا لها فجاة ان شبح الميتة يقف بينهما، فزادت من ضغط ذراعيها العاريين المرتجفين على السور الحديدي وحدثت نفسها... «إنه يفكر فيها دون ريب، وفي تلك الرحلة التي قاما بها معاً، واستولى عليها حزن شديد، ولأول مرة وجدت مذاقاً مريراً في اريج الطحالب وفي الملح الذي تاتيها به النسمة البحرية.

اما هو فقد لزم الصمت، واحنى راسه فوق صدره وراح يفكر في هيلين. والواقع انه كان يستعد في ذهنه بتلك الرحلة. كانت الصغيرة العزيزة المسكينة فاتنة في عدم فهمها الجمال غير العادي لهذا البلد. كانت بحاجة إلى العطور والنواحي المشمسة حيث ضوضاء باريس وحركة الحياة الاجتماعية، وابهار

الصالونات المتكلف. تركت رحلة برتياينا الأولى لسيلفيو ذكرى بالأحر بغيضة. وتبدت له الآن فجاة تلك الملاحظة التي تم تبد له حتى الآن، واحس بإحساس شاق كما لو انه اتى فجاة بخيانة إزاء هيلين.

همس في صمت يقول: ليست هذه اول مرة. نعم انت تخونها في افكارك كل يوم. اما الأخرى، فانت تحبها. ولأنك لاتبوح لها بذلك تعتقد انك تحافظ على وعدك، ولكنك خنت هيلين في قلبك مع ذلك.

وارتفع صوت جرس، فاعتدلت جينفرا قائلة:

- هذا وقت العشاء.

وغادرا الشرفة. وامتدت أمامهما في الضوء الساطع الممرات الصغيرة. واسندت جينفرا يدها على ساعد زوجها وهي تقول:

- من المؤسف ان ندخل، فإن الجو جميل.

نظر إلى جانب وجهها الجميل وإلى الفم المتامل والمرتجف شيئاً ما وإلى حركة رموشها الطويلة على حافة الجفن. وامسك بيد المراة الشابة بحركة رقيقة ودسها تحت ذراعه، واحتفظ بها بين اصابعه الدافئة والمرتعشة.

انتفخ قلب جينفرا بفرحة شديدة. اوه، لو ان تجرؤ وتقول له في هذه اللحظة... لو ان تجرؤ وتطلعه على عذابها وعلى حبها؟

ولكنها لم تجرؤ، فهو لم يقل شيئاً. وحتى ضغطة اصابعه قد ارتخت وانتهت تلك اللمسة من الحنان. ربما تصور لحظة ان هيلين هي التي بجواره، ثم تذكر انها جينفرا فحسب.

وفي تلك الليلة التي يكاد يبدد ظلمتها انعكاس القمر الذي يظهر من بين السحب، ارتفعت واجهة القصر المشقوقة وبرز

www.rewayti.net

برجه الذي تغطيه الأغصان وينمو على جداره اللبلاب الضخم وراحت اوراقه تصدر حفيفها في الظلام مع هبوب النسمة التي ازدادت قوة.

وظهرت سيكا بإحدى النوافذ المضاءة، وكانت ترتدي ثوباً ابيض، بشعرها الأسمر المتهدل فوق كتفيها. وتاخرت نظرتها على اختها وزوجها، وقال سيلفيو وهو يتكلف المرح:

- هل كنت تنتظرينا ايتها الأخت الصغيرة؟ ربما خطر لك اننا ضللنا طريقنا في ممرات هذا البستان. ولكن لازلنا سالمين ومعافين.

- اوه، لم اكن خائفة، فانت كنت مع جينفرا، وهذا هو كل مايجب.

واقتربت من اختها واخذت يدها وضغطت عليها بشفتيها وهي تقول: جينا... عزيزتي جينا.

وسالتها جينفرا وعلى شفتيها ابتسامة متاثرة:

- حسناً مانا بك ياسيكا.

- انني احبك كثيراً... واتمنى ان يحبك الجميع مثلي.

ابتسمت جينفرا هذه المرة ابتسامة حزينة، وقالت وهي تبذل جهدها لكي تجعل لهجتها مرحة، وان كان قد شابتها بعض المرارة:

- ليس هذا في مقدروك يا صغيرتي سيكا ولكن حبك لي جميل وهو إحدى مباهج حياتي.

لم يتكلم سيلفيو كثيراً اثناء الطعام. بدا كانه مهموم او مستاء.

واشتكت دونا ماريا من الصداع وصعدت الى غرفتها فور الفراغ من تناول الطعام، واصطحبت سيكا معها لأنها تبكر في

النوم. وبقي سيلفيو وجينفرا وحدهما في الصالون الذي استحال لون ستائره، وبدت قطع الأثاث القديمة ثقيلة تتفتت بسبب العتة والديدان. وفي إناء نحاس ترتفع بعض الزهور الخلنجية الوردية اللون وتنشر اريجها الحفيف الذي يغطي عليه شذى لاذع وقوي لزهور الأقحوان التي تميل خارج عنق فازة كبيرة من القصدير. وكان الهواء يدخل من النوافذ المفتوحة، مشبعاً بعبير اشجار الصنوبر، والأمواج التي ترتطم في صوت اصم رتيب بصخور الشاطىء.

وراحت جينفرا تطرز على ضوء مصباح كبير، وسيلفيو جالس بجوارها يقرا مجلة، واقترح يقول بطرف شفتيه:

- هل تريدين ان اقرا لك شيئاً؟

- اجل.

ولكن سرعان ما اردفت وهي ترى سحنة زوجها المتغيرة شيئا ما:

- ولكنك تبدو متعباً ياسيلفيو.

- هذا صحيح. إنني اشعر بصداع، ولكنه سرعان مايزول.

وتناول كتاباً فوق المنضدة، بجواره. ولكن جينفرا القت بيدها على يده قائلة:

- كلا. خل عنك، واسترح. لاهتم كثيراً بالقراءة الليلة.

- سأقوم بجولة في الخارج إذن، وادخن سيجارا. سوف يصيبني الهواء وعزلة الليل وقليل من السير بخير دون شك.

واردف يقول وهو ينهض: طابت ليلتك يا جينفرا.

وانحنى وهو يمد يده لكي ياخذ يد زوجته، ولكنها احنت راسها قليلاً وهي تقدم له جبينها، وقالت في رفق وفي صوت مختنق:

روايات خاصة
رحلة إلى عالم الروايات

www.rewayti.net

- طابت ليلتك ياصديقي.

شفتان نافنتان مستا ذلك الجبين الجميل على عجل، وافترقتا عنه على الفور. وتوقف سيلفيو بعتبة الباب لكي يشعل سيجارا، ثم تقدم في ظلام الخارج المبهم، واختفى في جوف الليل.

واستانفت جينفرا تطريزها وقد خيم عليها من جديد حزن متزايد وعادت إلى غرفتها في وقت متاخر جداً، ولم يكن سيلفيو قد عاد بعد، ولكنها سمعته بعد قليل يصعد السلم في بطء ثم يدخل غرفته وادركت انه لابد دخن وعمل حتى وقت متاخر من الليل، عندما رات في صباح اليوم التالي المنفضة مملوءة، واوراقاً كثيرة مكتوبة بخطه الدقيق.

كان الصداع إذن مجرد حيلة، ولم يكن هناك اي سبب لهروبه أو انزعاجه. بل كان هناك شيء آخر. وتحققت جينفرا من ذلك ولم تجرؤ ان تقول «إنه يقاوم حبه لي» وهي مقاومة لم يكن يبررها اي شيء ممكن.

١٣

وصل ال سيرفوس إلى القصر الأربعاء من الأسبوع الأخير الذي يقضيه ضيوفهما في بريتانيا. والبارون اشقر، وقصير القامة، ومحترم المنظر يمتاز بطبع حلو معبر، ومثقف جداً، وله شخصية ممتعة، واراؤه متشابهة سواء في المجال الاجتماعي او الوسط الديني وقد اكسبته صداقة المركيز اورسيللا. وقد استظرفته جينفرا كثيراً، اما مدام دي سرفوس فلم ترق لها إلا قليلا، كانت ظريفة جداً، ولكنها كانت هادئة وذات فتنة ساحرة رغم انها لم تكن جميلة، وتهتم باتباع آخر صيحة في كل ما ينتمي إلى المودة، وتساير في نفس الوقت، وبحذق كبير وتستخف في نفس الوقت وبحذق كبير الدمامة المفرطة وكل مايثير الضحك والسخرية. كانت امراة ذكية، من هذا المعنى، في انها تعرف كيف تجيد الحديث في كل المواضيع الأدبية والسياسية وغيرها. ولكنها كانت تعتقد انها افضل من غيرها، وانها تكاد تكون معصومة من الخطا. عندما تبدي رايها في صوت هادىء وثابت، كان يسود الإحساس فإن كل شيء سبق ان قيل لها وان اراء الآخرين ليست لها اية قيمة.

كانت حياتها مضطربة بصورة غريبة، تحت مظهرها الهادىء.

www.rewayti.net

وبينما كان سيلفيو يتمشى بعد الغداء في الحديقة مع مسيو دي سرفوس راح هذا الأخير يبثه همومه بسبب ذلك وقال:

- ما هذه الحياة المضطربة التي تعيشها النساء اليوم ياعزيزي. إنه لأمر فظيع، وسوزان ترهق نفسها في العمل، فهي تمضي الى المستوصف وتلقي محاضرات عن رعاية الطفولة، ثم تتلقى دروساً في القانون، والى جانب هذا يجب ان ترى كل المعارض، وان تسمع كل المسرحيات وان تقرا كل الكتب التي يتحدث الناس عنها. انها تحب العلاقات الجديدة، ويجبرنا هذا على استقبال الكثيرين لتناول الشاي في المدينة كل يوم تقريباً. والى قضاء شطر من الليل في احد الصالونات الساخنة، دون التحدث عن حفلات الشاي والبريدج والاحتفالات في الحدائق وملاه اخرى من هذا النوع. وتزعم زوجتي أن هذه الحياة الشبيهة بحياة المحكوم عليهم بالإعدام في الحياة الوحيدة الممكنة بالنسبة لها. والواقع انها تحياها بسهولة كبيرة، ولكنني اقول لك أن هذا امر فظيع.

وترك ضحكة خفيفة ساخرة تفلت منه، ووضع بين شفتيه بيد شاردة السيجار الذي كان يمسكه واخذ منه بضعة انفاس. كان وجهه متوتراً بعض الشيء، يكاد ينطق بالقسوة. والقى المركيز اورسيللا إليه نظرة مشدوهة مستترة، ذلك ان جاك سرفوس كان يبدو وله حتى تلك اللحظة مولعاً جداً بزوجته، خاصة انه لم يسبق ان ذكر ضدها كلمة لوم او عتاب.

ولاريب ان البارون احس بالدهشة التي اثارها حديثه لأنه اردف يقول على الفور:

- إنني اثير دهشتك كثيراً، واليس كذلك؟ ولكن ماذا تريد؟ عندما يحب المرء يتعامى المرء عن كل شيء طواعية، ولكنه لايلبث ان يرى كل شيء بوضوح، فتسقط الأوهام، ويتبين عيوب محبوبته اكثر مما يتبين مزاياها. وعندما يكبر وينضج يتمنى القليل من الهدوء والاستمتاع ببيته. ولكن هذا البيت غير مستقر. وبطبيعة الحال لاستطيع اللوم والعتاب... كلا، بالتاكيد.

ولزم الصمت فترة قصيرة ثم اردف يقول في صوت أصم:

- إنني احببت سوزان كثيراً، وبذلت الكثير من الجهد لكي اتعامى عما تفعله بي، ولكنها لم تستجب لحبي إلا قليلاً. إنها امراة ظريفة، كعلاقة اجتماعية، ولكنها كزوجة، تفتقر الى الاستعداد للوفاء والتفاني واشاعة المرح حولها والى كل الفضائل الصغيرة التي تربطنا، نحن الرجال، بهم بعد ان تتلاشى اوهام الحب.

نظر سيلفيو الى صديقه في اهتمام اكبر وساله:

- هل تتالم ياسيرفوس؟

- نعم واعترف لك بذلك ياصديقي.

مد المركيز اورسيللا يده، وضغط على يد مسيو دي سيرفوس مدة طويلة. وراحا يمشيان في صمت، والريح تلفح وجهيهما بنسمتها القاسية والرطبة، واشجار البلوط، في الطريق الصغير المتعرج الذي يسلكانه تهتز في عنف، واوراقها الميتة تتجرد منها وتتفرق بعيداً في رقصة جنونية، وقال سيلفيو:

- سوف تهب عاصفة الليلة.

قال مسيو دي سيرفوس تلقائياً:

www.rewayti.net

- هذا محتمل «وكان يتابع في ذهنه فكرة جعلها تنطق على الفور بانه قال» وانت ياورسيللا، الا تعرف هذا العذاب؟ ان المرء يدرك للوهلة الأولى ان المركيزة تختلف كل الاختلاف عن سوزان وعن غيرها.

اجاب سيلفيو في هدوء:

- الواقع ان لزوجتي كل الفضائل، سواء الصغيرة او الكبيرة التي يمكن ان يطلبها اكثر الأزواج تشدداً.

- يالك من رجل سعيد.

سرت رعشة في بدن سيلفيو واسرع يقول في استياء اصم:

- ماهذا الذي تقول؟ اتنعتني بالسعادة وانت تعرف ما عانيت من عذاب ومازالت اعانيه.

نظر مسيو دي سيرفوس اليه في دهشة وقال:

- اه، عفواً ياصديقي، ولكنني ظننت.. ان دونا جينفرا ظريفة بحيث انك قد وجدت بعض العزاء بقربها...

قال سيلفيو في برود:

- لست من الذين يجدون العزاء بهذه السهولة.

قال البارون يحدث نفسه: بهذه السهولة!... لقد انقضت اربع سنوات على موت الأخرى، وهذه المراة ظريفة ومهما يكن فهي تفوق بكثير هيلين المسكينة بالتاكيد ... افيكون من الحماقة بحيث لايحبها؟... ولكن لا... هذا محال... محال.

ومكث ال سيرفوس طوال اليوم والليل في القصر، وحملتهم في صباح اليوم التالي سيارتهم الى كيمبلي، وبرفقتهم المركيز اورسيللا وزوجته وقد قبلا ان يكونا ضيفين في قصر جرينبلاس لمدة ثمان واربعين ساعة. والفت جينفرا نفسها إذن بين اناس اغراب، اقارب مدام دي سيفروس...اخوتها واخواتها

وابناء عمومتها وقد رحبوا جميعاً بها اجمل ترحيب. وكان للشباب وللسن الناضج ميولهما الرياضية المفرطة جداً. وقد سبق ان عرفت جينفرا تلك الميول، في المجتمع الارستقراطي ببلدتها، وقد دهشت بعض الشيء لأنها تلقت تربية مختلفة جداً. اما سيلفيو فقد امتطى ا لجواد وقاد السيارة طواعية، واستمتع بما يكفي بالتنس والجولف، وحتى البولو، بمجرد سنوح الفرصة لذلك. ولكنه لم يبد اي تعصب لأي من هذه الرياضيات فيما عدا التنس. ولم يكن قد ابدى رغبته ابداً في ان تمارس زوجته هذه اللعبة، ولهذا احست بالغربة شيئاً ما في جرينبلاس، في الحركة الدائمة والمستمرة طوال النهار، وحتى المساء مع هذا الشباب المفرط الحيوية والنشاط والذي ابدى اصراراً عجيباً في إظهار عضلاتهم طبيعياً وعملياً جداً ومعنوياً.

عاد سيلفيو وجنيفرا الى قصرهما في صباح يوم سماؤه مكفهرة، وتلقى السائق الأمر بالانطلاق بمحاذاة الشاطىء. وبناء على طلب زوجته اعاد السيارة الى القصر وهم على بعد بضعة كيلو مترات منه، واستمرا يسيران سوياً على اقدامهما. وامتدت على يمينهما الأرض التي بدت اشجارها تذبل وتتلون باللون الوردي والأشقر. وعلى يسارهما يضطرب البحر في امواج كبيرة صاخبة تضيع في الأفق المكفهر، وتظهر في بطء الصخور المنتشرة بطول الشاطىء وبجوارها الطحالب المبتلة بشرانطها اللزجة الممتدة فوق الرمال.

وغلالة حمراء تنتشر في السحاب فوق زورق يهتز في عنف، وهواء البحر الطلق يصل دون اية عقبة حتى المكان الذي يسير فيه الزوجان، لأنهما لم يكونا قد بلغا الخليج بعد. وبدا البحر بكل سعته وجماله.

www.rewayti.net

راحت جينفرا تتقدم في خطى نشيطة... كانت سعيدة إذ تجد نفسها في بيتها، ولأنها سوف ترى سيكا. وراحت تحتجز بإحدى يديها الإشارب الكبير الأبيض الذي راح يتطاير مع الهواء، وتعتمد بيدها الأخرى على ذراع زوجها وقد قدمها إليها منذ لحظات لكي يساعدها على اجتياز ممر وعر، ولم تتخل عنه بعد ذلك. ولزم كل منهم الصمت. ثم قال سيلفيو،

- لم تخبرين عن انطباعك عن مدام دي سيرفوس ياجينفرا.

نظرت عينيها نحو النظرة المستفهمة، وابتسمت في شيء من الضيق وقالت،

- ولكنها لطيفة جداً، وتستقبل بطريقة ظريفة جداً.

- اهذا كل شيء؟

- وهي ذكية ايضاً، وتجيد الحديث.

- ولكنها لاتروق لك.

اعترفت قائلة،

- كلا. ليس كثيراً.

- لماذا؟

- لاادري يبدو لي انها غريبة جداً في اطوارها وافكارها ومشاعرها وميولها.. وليس لهذا الإنطباع اية علاقة بجنسيتها، وهو احساس احست به نحوالكونتيسة تريزينو مثلاً او نحو تيريزا النوزس.

- اجل، انت لست من نفس الأصل الأدبي، وخلقها اقل منك بكثير.

- اوه، لاأقصد هذا.

- ولكنني اقصد ذلك. كانت لي اوهامي الكبيرة نحو مدام دي سيرفوس حتى اليوم، ولكن شخصاً فتح عيني... واعني به زوجها بالذات.

كررت جينفرا في ذهول،

- زوجها؟

- نعم كان يحبها كثيراً. ولكنه يراها الآن كما هي، ويشعر المسكين بخيبة امل، لانه كان يريد بيتاً هادئاً لاتكون ربته غائبة باستمرار.

- الحق انني فهمت انها تعيش حياة صاخبة جداً خارج بيتها.

- وهي حياة ترهق رجالاً اقوياء تجرهم إليها نساء شابات تتقهقر احياناً امام واجبات الأمومة. وهذا التعس سيرفوس انخدع طويلاً، ولكن كان لابد له من ان يقر بالحقيقة، ان زوجته لاتتمتع بأي شيء في الفضائل الأسرية واهتمامها ينصب عموماً على إصلاح الأسر الأخرى بدلاً من الاحتفاظ بوحدة اسرتها هي، مع ان الله جعلها مسئولة عن هذه الوحدة.

وسكت، وسارا في صمت من جديد، وسيلفيو يحس تحت ذراعه بضغط يدها الرقيقة المكسوة بالقفاز، وقد افلت إشاربها من اصابعها الشاردة وراح يلمس خده باستمرار. وراحت افكاره كانت يقضيها عنه دائماً حتى اليوم، تتسلل إليه، واكثر وضوحاً، واكثر قوة. الم يكن لهيلين طبعاً مشابهاً تماماً لطبع سوزان دي سيرفوس. احد هذه الطباع المتوسطة التي لاتتصلح مع الحياة وتزوري اقل الفضائل الكبرى. اما كان في مقدورها هي الأخرى ان تهمل بيتها وتهتم بمتع الحياة وملاذها وتتخلى عن «واجبها»؛

www.rewayti.net

اجفل اجفالة صغيرة. مسكينة هيلين! مسكينة هيلين الصغيرة كيف يحكم عليها ها هكذا؟ لقد كانت رقيقة وظريفة جداً، وكان في مقدروه ان يغيرها، وكان يمكن ان تغدو امراة رزينة ومخلصة، وذات عقل سليم كجينفرا.

ولكن ماذا لو انها لم تتغير؟ ماذا لو انه انخدع فيها وخيبت امله كما حدث مع جاك دي سيرفوس وانخدع في زوجته، واحس بانه وحيداً بجوار من سبق ان راها عقله كما هي بعد مرور اوقات الحب الأولى.

سرت في كيانه رعشة خفيفة. تصورها ووجدها فظيعة. اكان يمكن ان يقع هكذا عن حلم حب كهذا؟... آه، إنه ليشكر الله ان انتزع هيلين منه قبل ان يعرفها كذلك.

وعلى الفور فكر في دهشة، كيف تواتيني مثل هذه الفكرة؟ وماكانت لتواتيني ابداً قبل شهور.. ابداً.. فكيف حدث هذا.. ولماذا؟.

واخيراً يتقدم ميكانيكياً، في الريح وفي اليوم الخصب، وجنيفرا تعتمد على ذراعه في رفق، ولزمت الصمت هي الأخرى، وعيناها عالقتان بالأفق المكفهر. وحول سيلفيو راسه قليلاً، مقاوماً الإغراء بالنظر إليها والإعجاب بها، لأنها كانت جميلة جداً، حين تهب النسمة في عنف وتضفي اللون الوردي والعنبري الرائق لبشرتها المتألقة وتحجب اللون الأحمر الرطب لشفتيها وتضاعف شعلة الحياة في العينين الجميلتين اللتين لم يكن يستطيع ان يلتقي بنظرتها العميقة الساحرة إلا ويشعر بالارتباك.

اه. لو انه استطاع. شعر ما كان يحبها، تلك المراة ذات الجمال الطبيعي الساحر والنفس الطاهرة الوفية والمستعدة لكل

الواجبات وكل البطولات المتواضعة لكل يوم! ولكن هيلين مرت في حياته قبلها واخذت كل حبه... للأبد.. للأبد.

سرت به رعشة خفيفة. حتى ان هذه الشهور الأخيرة انجز كل الوعد المضطرم الذي همس به في اذن الميتة، في عنف يائسه. ولكن فيما بعد... الا تحتل صورةامراة اخرى غير صورة هيلين ذهنه وقلبه؟ كان يقاوم.. اراد ان يظل وفياً، وتمرد على شكوكه في القيم الأخلاقية للفقيدة الشابة وعلى استمرار السعادة التي كان يشعر بها بجوارها.

نعم. ولكن كل هذا.. هذه المقاومة، وهذا العذاب، وهذه الشكوك، والحقيقة الوحيدة في تصور العيوب والنقائص... الم يكن كل هذا دليل على ان المعشوقة لم تعد تبجل بعيون عمياء، وان افتقادها بتلك الصورة دليلاً على انه لم يعد يحبها كذي قبل؟

احتج من نفسه.. كلا، كلا... وتوتر في محاولة لكي يبقى هادىء الأعصاب، وجامد الشعور حين يرى العينين الجميلتين الواسعتين تنظران إليه وفيهما تلك المقدرة المهينة التي تحمله على نسيان هيلين... هيلين الحبيبة التي مازالت حية في ذهنه.

www.rewayti.net

١٤

اهتم المركيز اورسيللا وزوجته، بعد عودتهما من بريتانيا بإعداد الإجراءات اللازمة الخاصة بزواج اوتافيو، وقابلت الكونتيسة ترافينا الطلب بالقبول على الفور، واسرعت ليزا بإعطاء ردها الإيجابي هي الأخرى. واحتفل بإعلان الخطوبة بعد ذلك بقليل اثناء إجازة حصل عليها سيلفيو لصهره.

ولكن الفرحة التي احست بها جينفرا من هذه الناحية فقد شابها القلق بسبب سيكا، فإن التحسن الطفيف الذي لوحظ عليها في الأسبوعين الأولين من اقامتهم في بريتانيا لم يستمر، وازداد ضعف الطفلة من جديد، وقبلت دونا ماريا دعوة سيلفيو الملحة، هو وابيه، لكي تقيم هي وابنتها في فيللا اورسيني حتى تستمتع المريضة بالهواء النقي وبالأريج الشافي لأشجار الصنوبر. وكانت سيكا تنتهز الفرصة، بمجرد اعتدال الجو فتقضي اوقاتها في الحديقة، وبقدر ما كانت تفقد قواها كانت تزداد مرحاً، وتطيل الحديث على غير عادتها، وكان هذا المرح النادر يغذي الأمل عند امها ا. اما جينفرا فلم تنخدع ابداً، فقد كانت تعرف سيكا اكثر من معرفة امها لها، وكانت تدرك ان الطفلة ترى الموت يقترب دون خوف، وبفرحة تقريباً.

وكان قلق جينفرا هذا مبعثاً من تعجيل زواج اخيها. وكان هذا الأخير قد اقبل الى فيللا اورسيني قبل الاحتفال بالزفاف بثمانية ايام، ثم ان المركيز استضاف اثنين من ابناء عمومة

زوجته للشهادة على الزواج، كما استضافت دونا تيريزا النوزس، ارملة احد اقاربها وابنة عم ليزا ترافينا.

كانت دونا تيريزا امراة شابة شقراء، معتدلة القامة، ليست جميلة وإنما انيقة جداً، وشديدة الإندفاع، يشيد الجميع بذكائها، وهو ذكاء يقوم على انتقاد عيوب الغير بعبارات قصيرة وجافة. وكانت تبحث عن زوج ثان لم يكن يتعجل الظهور، لأن الجميع كان يعرفون حبها الجارف للبذخ والإسراف وحرية التصرف.

وكانت جينفرا قد تعرفت بها في الشتاء الماضي، وفي فلورنسا، حيث امضت هي وسيلفيو بضعة ايام، ولم تشعر من نحوها بأي ود او ارتياح. وكانت تيريزا، من ناحيتها تغبطها لأنها كانت قد تمنت الزواج بالمركيز اورسيللا، وكانت مغرمة به منذ وقت طويل، وتطمع في ثروته.

ولم تكن جينفرا تعرف ذلك طبعاً، ولكنها احست بأن الكراهية التي تشعر بها نحوها متبادلة، وان بقاءها في الفيللا بضعة ايام يسبب لها كدراً خفياً.

ومع ضيوفها، والحركة المستمرة بسبب الزفاف الوشيك، والرعاية اللازمة لسيكا انشغلت جينفرا جداً. ولم تشكو او تتذمر، ولكن همومها تخدرت بعض الشيء، ولم تعد تلحظ برود سيلفيو إلا قليلاً، متصنعة المرح والسرور. وتألق جمالها كل التألق، وجذب إليها اجمل المجاملات، وكانت تتقبلها بوقار ظريف. ولكنها لم تكن ترى من كل الرجال الذين يعجبون بها إلا رجل واحد وهو الذي يحق لها ان تحبه ولايريد ان يحبها.

وفي عشية الزواج، وبينما كانت عائدة من نزهة خلال الحديقة. التقت بتيريزا النوزس. وكانت المراة الشابة ترتدي ثوباً من الجوخ النبفسجي يشد قامتها الجميلة شداً، وتغطي كتفيها

www.rewayti.net

بإشارب من الفرو الغامق اللون يبرز بياض بشرتها التي يكسوها بعض النمش. وشدت كل من المراتين على يد الأخرى. وسألتها جينفرا،

- هل تتنزهين؟

- اجل. واجبر نفسي كل يوم، في فلورنسا، على ذلك لكي اتغلب علىاخطار الشيخوخة. والنزهة هنا متعة، وهذه الحدائق، حتى في الخريف رائعة (ولزمت الصمت بضع ثوان ثم اردفت) رايت الآن الكنيسة الجنائزية، لم اكن قد رايتها قبل اليوم، لانني لم آت هنا منذ ان ترمل سيلفيو، وهي جميلة جداً... ويالله من إسراف في الزهور! واعترف بانني اجد هذا الإصرار في الذكرى جميلاً جداً.

قالت جينفرا في شيء من التهكم،

- الواقع إنه إصرار غير طبيعي حقاً.

فما من احد كان يجهل ان دونا تيريزا لاتطيق ترملها هي بالذات، رغم ان النوزي المسكين كان زوجاً كريماً جداً ومحباً جداً.

وقالت المراة الشابة في فظاظة،

- لعمري ان هذا بالأحرى شيء جميل، فإن الحب ليكون مستحيلاً إذا ما اضطر الإنسان الى الإنطواء في الحزن واليأس كما يفعل دون سيلفيو منذ وقت طويل. وصحيح ان تلك الشقراء هيلين كانت فاتنة، وقد رايتها في باريس مراراً، وقصرهما الصغير في بلسي إنما هو عش غرام حقيقي.

سرت بجنيفرا رجفة الم، فعند عودتهما من بريتانيا مرا بباريس ولم يصطحبها سيلفيو الى القصر، وكانت تعرف انه

لايزال يمتلكه، وإنما نزل معها في جناح في باحد الفنادق، وبقي عش الغرام مغلقاً على ذكرى هيلين.

ونظرت تيريزا خفية الى الوجه الجميل الذي بقي على هدوئه، كانت جينفرا ترتدي في ذلك الصباح ثوباً منزلياً من الصوف اللين بخطوط بنفسجية كان يليق عليها تماماً، وينسدل بطول كتفيها وفوق صدرها الأنيق فروا له لون مهيب، وكانت نزهة الصباح قد اكسبتها لوناً ورديا جميلاً واومضت عينيها بوميض رائع. وفكرت تيريزا في غيظ، إنها جميلة كالأخرى على الأقل، ولابد انه يحبهاب ولاريب انه نسي هيلينته ولم يعد يرسل الزهور الى قبرها الى بحكم العادة.

واردفت تقول في خبث،

- لم اكن اعتقد ابداً ان يتزوج دون سيلفيو من جديد. ولاريب انه كان شديد الرغبة في ان لاتنقرض سلالة اسرته.

- وهي رغبة طبيعية جداً وتكاد تكون واجباً.

بقيت تيريزا لحظة مشدوهة إزاء هذا الهدوء وعدم الإكتراث اللذين قابلت بهما جينفرا هذه الكلمات، فهل صحيح ما سمعته من ان المركيزة اورسيللا باردة الطباع ومجردة من كل شعور، وان سيلفيو اختارها لهذا السبب حتى لايقع الحب بينهما؟.

ولكن لا. اتكون باردة الطباع ولها مثل هاتين العينين. من الغبي الذي تصور ذلك؟ ولكن المركيزة كانت تبدو متحفظة دائماً إزاء الأغراب، وكانت دونا تيريزا قد لاحظت انها تتهر بكثيراً وبسهولة كبيرة من الأسئلة او التلميحات المتطفلة شيئاً ما.

وهكذا كان الحال اليوم، فقد اثرت الأرملة بالهزيمة، وكفت عن الحديث عن هيلين، وقد رأت ان الخوض فيه موضوع شائك. وبعد بضع عبارات عن الجو، وعن حفلة الغد افترقت

www.rewayti.net

المراتان، وعادت جينفرا الى البيت. وكان الباب الزجاجي لمكتب سيلفيو بالطابق الأرضي مفتوحاً فيممت إليه. كانت بحاجة الى ان تستعلم عن شيء بخصوص حفلة العشاء التي ستقام الليلة تكريماً لزوجي الغد. وكان لابد لها لأن من سبب من هذا النوع لكي تدخل مكتب زوجها، لأنها لم تشا ان تبدو كما لو انها تفرض نفسها عليه، ولن تلاحقه اثناء عمله، وهو الذي يرفض حبه لها في صمت.

وتسبب ظهورها في الغرفة الكبيرة ذات الجدران المكسوة بالألواح الخشبية من اجفالة سيلفيو شيئاً ما، وكان يكتب منحنياً فوق مكتبه، فرفع راسه، ورآها تتقدم، وبدا في نظرته انفعال عنيف تسبب في رجفة الشفتين وهما تقولان في لهجة الية:

- اه... اهذه انت يا جينفرا؟

- نعم يا صديقي .معذرة لإزعاجي إياك. ولكنني كنت أريد ان اعرف ملاذا قررت بشان آل زور ميللي.

- اه... نعم آل زور ميللي.. هذا صحيح... اجلسي يا جينفرا.

ونهض واراد ان يقرب مقعداً ولكنها قالت:

- كلا شكراً. يجب ان اسرع الى المطبخ. ملاذا قررت يا سيلفيو؟.

اجاب متردداً، كما لو انه لم يعد يدري عم يتكلم، والواقع ان آل زميللي كانوا بعيدين جداً عن ذهنه. وإنما راح ينظر الى المراة الشابة الواقفة بجواره، وهي جميلة جداً في ثوبها المنزلي الأنيق المظهر والرقيق.. ما احلى نظرتها هذا الصباح، وبالجمال

بشرتها المتوردة. وشعرها الرائع الذي صففته والذي يتموج بتلك الطريقة الطبيعية التي يفضلها سراً وقال:

- حسناً يمكنك ان تجلسي الأمير زورميللي بجوار دونا تيريزا.

واطال تردده، طوعياً، لكي تبقى امامه بضع لحظات اكثر، ولكي يمكنه ان يستمتع بضع دقائق بهذا الجمال الذي يهرب من سحره الباهر، عادة، ولكنه احس هذا الصباح بمزيج من الخوف والبهجة انه لم يعد يتمالك نفسه.

- والأمير بجوار الكولونيل ايريلدا، فما رايك؟

- يبدو لي ان الأمر لاباس به هكذا... اليس لديك تعليمات اخرى تريد ان تذكرها لي بخصوص السهرة؟

- ابداً.. لارى شيئاً، فإنك دبرت الأمور بكل ذكاء يا صديقتي.

واخذ يدها وقد تالفت عيناه بوميض دافيء، عاكساً إعجابه الشديد. وسرت في بدن جينفرا رعشة خفيفة، وقالت في صوت خافت ومرتجف:

- انا التي يجب ان اشكرك لتصرفك بكل هذا الكرم إزاء اخي.

- وهو اخي انا ايضاً يا جينفرا.

- ثم انك كريم جداً مع سيكا. وددت لو ان اعبر لك عن كل شكري وامتناني.

وبدا ود مكبوت منذ وقت طويل في العينين الجميلتين اللتين ضاع فيهما بصر سيلفيو المفتون. وقال في صوت خافت:

- اوه، كلا... كلا.. ليس بيني وبينك اي شكر او امتنان.

www.rewayti.net

وامتد ذارعه واحاط كتفي المراة الشابة. وكان الوجه الجميل المرتجف الآن قريباً جداً من شفتيه، فاستقرتا على جبينها، بالقرب من جفنيها العنبريين اللذين انخفضا في رفق. وبقيتا مدة طويلة كما لو انهما لاتستطيعان الافتراق عن جبينها. وارتجفت جينفرا للمستهما الدافئة وهي تكاد تطير من السعادة.

- إنك تعاملين ابي المسكين كما لو انك ابنته المحبة الودودة حقاً ياجينفرا، وانا الذي ادين لك بالكثير، ولن اعرف ابداً كيف افيك حقك من الشكر.

واعتدل. وترك ذراعه يهبط وابتعد بعض الشيء. وبدا وجهه وقد شحب، واضطرام عينيه قد خبا، واردف يقول وقد عاد صوته إلى برودة،

- ساكون سعيداً جداً ان اثبت لك ذلك باشتراكي في حبك واهتمامك بكل اهلك.

وراح يتكلم عن سيكا، وعن الأمل الضعيف الذي ابداه الطبيب بالأمس. وتوترت ملامحه وانخفض جفناه فوق عينيه اللذين حولهما عنها شيئاً ما. وعندما خرجت جينفرا، جلس امام مكتبه من جديد، ودفن وجهه بين يديه الملتهبتين وفكر، إنها تحبني. كنت احاول ان اقنع نفسي بان هذا غير صحيح، ولكنني رايت الحب الآن واضحاً في عينيها، وانا الذي لاستطيع.. فماذا افعل ياهيلين؟.. لماذا احللتها مكانك يا هيلين؟.. لقد اصبحت حياتي الآن عذاباً لأنني اتيتك بغريمة. نعم يمكنك ان تلوميني لخيانتي لك يا حبيبتي السكينة لأنني من الضعف لكي احبها، كما ا حببتك تقريباً يا حبيبتي. ومع ذلك فانا لااريد إيلامها. وإذن؟... إذا حدث يوماً وطلبت مني

حبي.. كل حبي، فإنك ستصفحين عني يا هيلين... اليس كذلك.

www.rewayti.net

١٥

انصرف ضيوف فيللا اورسيللا غداة زواج اوتافيو فيما عدا دونا تيريزا، فقد انتهزت فرصة اقامتها في ريبينتي لتسوية مسألة معلقة منذ سنوات بينها وبين ابناء عمومتها ترافينا. ولم يسع آل اورسيللا إلا ان يعرضوا عليها الإقامة تحت سقفهم طوال ذلك الوقت، وقد سارعت بقبول ذلك العرض، واخفت جينفرا استياءها. ونظرا الى قلقها بسبب صحة اختها، كان في إمكانها التغاضي تماماً عن وجود امرأة غريبة وبغيضة على الخصوص مثلها. ولم يغب عنها ان تيريزا راحت تغازل سيلفيو، ولكن هذا الأخير ظل مجاملاً، مع الاحتفاظ بجموده نحوها. غير ان جينفرا احست، و هي في حالتها تلك، باستياء اصم تجلى تماماً بعيد راح يتزايد شيئاً فشيئاً نحو الأرملة.

ولحظ سيلفيو ذلك، وقال لها ذات يوم، وهو وحده معها ومع ابيه،

- لاشك انك تتمنين ان ترحل دونا تيريزا.. اليس كذلك ايتها الصديقة العزيزة.

واحمر وجهها قليلاً وهي ترد،

- الحق انني لاميل إليها ابداً.

وقال دون باولو،

- انت على حق، فهي امراة لعوب، مجردة من الشعور تقريباً، ويسرني انا الآخر ان تغادر القصر، ولكن لايسعنا إلا الاستمرار في ضيافتها.

القى سيلفيو عقب السيجار الذي كان يدخنه في المنفضة، ونهض، واقترب من زوجته، والقى يده على كتفها في رفق وقال،

- يؤسفني ان تتعرضي لهذه المضايقة يا جينفرا. ولكن ارجو ان تتخلصي منها قريباً، وارجو ذلك لأنني عرفت من الكونتيسة ترافينا ان مسالتها ستسوى في الأيام المقبلة، واعترف لك ان ذلك يسرني جداً، لأنني انا الآخر لاشعر باي ميل نحو دونا تيريزا.

وادركت انه يريد ان يطمئنها برصانة، إذا كانت تشعر باي ازعاج لمغازلات الأرملة له، فاجابت على الفور،

- صدقني انني لم اشك ابداً في ذلك يا صديقي.

ورفعت بصرها نحو سيلفيو. كان يبدو متاثراً، ومهتماً جداً بذلك الحنان المكبوت الذي يتضح له منذ وقت طويل. ومع ذلك فقد حول وجهه كما يفعل دائماً.

ولكن جينفرا لم تعد تشعر باي قلق من هذه اللامبالاة، وقد اصبحت تعرف انها غير صادقة. وكانت لاتزال تحتفظ على جبينها بدفء تلك القبلة التي تختلف تماماً عن كل قبلاته السابقة التي طبعها عليها بطرف شفتيه في خوف، كما يبدو. ولم يجدد تلك الحركة، وظل محترساً حتى لاتنم عيناه من جديد عن مشاعره المستترة. ولكن جينفرا لم تعد تجهل الآن انه يحبها. وزودها ذلك اليقين بقوة لمقاومة الذكرى، او بما تبقى من ذكرى الأخرى.

www.rewayti.net

وبعد اسبوعين من الزواج، تلقى سيلفيو رسالة من بيروز تنبئه بأن عمه اصيب بنوبة احتقان فاسرع بالسفر على الفور. وبعد قليل من ذلك جاءت برقية إلى الفيللا معلنة موت دون فيتوريو.

كان التاثير خفيفاً جداً على جينفرا، فهي لم تعرفه ابداً، ثم انها كانت مشغولة جداً بسيكا التي راحت حالتها تتفاقم يوماً بعد يوم.

كتبت لزوجها تقول، ان جسدها الصغير الهزيل اصبح اليوم كالهيكل العظمي، وليس لدى الدكتور موري اي امل، كما لوانه يريد اعدادنا... اختي الصغيرة المسكينة... انها رقيقة جداً وصبورة جداً، ولكنها تريد ان تراك. قالت لي بالأمس: ازداد مرضي فجاة فيجب ان تبرقي الى سيلفيو لكي يكون حاضراً إذا.. ولم تتم عباراتها،ولكنني ، واسفاه، ادركت ما تعنيه تماماً.

«نعم، حاول ان تسرع بالعودة ياصديقي من اجل صغيرتنا سيكا، ومن اجلنا جميعاً.. ومن اجلي انا، فانا بحاجة كبيرة الى محبتك وانني احبك كل الحب..

كتب ذلك.. ذلك الاعتراف بحبها لأول مرة. ورفع سيلفيو الورقة في اضطرام الى شفيته، وقبل التوقيع الذي سطرته بيد مرتعشة شيئاً ما.

- حبيبتي جينفرا.. اي حبيبتي المسكينة.

وارتعش في ظلمة وبرودة الصالون الكبير الذي وجد فيه من اليوم السابق التابوت المكسو بالسواد. وقد شيع في هذا الصباح جثمان دون فيتوريو الى المقبرة العائلية. وكان الصالون لايزال يعبق باريج الزهور الذبلة والشموع الدافئة ففتح النوافذ الأربع واعتمد على حافة واحدة منها بذراعيه ولفح وجهه برد

الخارج الجاف، وامتدت امامه، تحت عينيه، الأراضي المهملة والأشجار والخمائل، وكل حديقة القصر الكبير الذي احاله موت عمه سيداله. سوف يحتفظ به لكي يهبه لأحد ابنائه، واذا وهبه الله بتلك السعادة الأبوية اكثر من مرة. سيولد طفل آخر في فيللا ا اورسيللا بعد بضعة شهور، وقد انبأته جينفرا بذلك قبل رحيله بفرحة مرتجفة، وليتهما يستطيعان الاحتفاظ به هذه المرة.

مست شمس الشتاء الأشجار العالية واشجار الزينة والتماثيل المتشققة ذات الوجوه التي تغيرت معالم وجوهها. ترك دون فيتوريو الأعزب العجوز كل ذلك ليد الأهمال، وكان لايفتا يقول لابن اخيه:

- سوف ترمم كل هذا كما تريد، بعد ان اموت، فلا اريد ان ازعج نفسي بكل ذلك.

كان يبدي انانية كبيرة في اقواله، ولكن اعماله الخيرية كانت كثيرة ثم انه فوق ذلك احب سيلفيو، ابن اخيه الوحيد.

راح سيلفيو يفكر وهو معتمد على الحاجز ويضغط بين يديه خطاب جينفرا. حاول ان يستعيد ذكرى هيلين، وان يعيش من جديد تلك الأيام الحلوة السعيدة كما كان يفعل منذ بعضة شهور، ولكنه لم يعد يستطيع ذلك، فقد شغلت جينفرا كل افكاره وتراجع شبح هيلين الى ماض بعيد، راح يتامله دون اي تاثر او اي انفعال. وبدون اسف او ندم تقريباً. نسي اله وياسه وتلك الساعات وتلك الأيام التي راح يصرخ فيها لهيلين بحبه، والتي عاش فيها مع ذكراها. واصبحت جينفرا وحدها حاضرة امامه، ومن اجل قلبه الذي استحوذت عليه المراة الحية اخيراً وتغلبت على الميتة وتمتم:

www.rewayti.net

- هيلين... هيلين... سامحيني. مهم يكن فيجب ان اخونك انت او اخونها هي. ولكنك في مكانك، حيث تقيمين الآن، لن تتالي ياعزيزتي الصغيرة، فإن لك شيئاً اخر غير حبي البشري، وانني ادين بهذا الحب لها، وامنحه إياها كما منحتك إياه وانت على قيد الحياة.

وانفتح باب خلفه، ولكنه لم يستدر، غير ان صوتاً قال في احترام:

- معذرة ياصاحب السعادة... جاءت هذه البرقية.

اجفل. وبسط يده وامسك بالبرقية واسرع بفضها وقرا:

«سيكا مريضة جداً وتطلبك

أورسيللا»

كان الليل قد هبط عندما وصل سيلفيو إلى بيته. وسأل الخادم الذي خلع عنه معطفه في البهو قائلاً،

- كيف حال سيكا الآن؟

- إنها تعاني سكرات الموت يا صاحب السعادة. وقد اقبل القسيس ومنحها بركته ويقول الطبيب انها لن تقضي الليل.

اسرع سيلفيو بالصعود. واستقبلته جينفرا في اعلى السلم، وتمتمت:

- اي صديقي، إنك اتيت في الوقت المناسب.

- اي حبيبتي السكينة.

واحاط بالمراة الشابة بذراعيه، وجذبها إلى صدره. وفي رفق كبير طبع قبلة على الوجه الحزين والذي تبلله الدموع.

وقالت جينفرا في صوت خافت:

- سيلفيو .. حبيبي سيلفيو.

تغلبت الفرحة الكبيرة فيها على كل شيء لبضع دقائق، فقد منحها حبه، واصبح ملكاً لها اخيراً، ثم تمالكت نفسها، وعاد الألم فعصف بقلبها وقالت:

- تعال واسرع ياصديقي .. ان العزيزة الصغيرة سالت عنك كثيراً طوال اليوم. وهي ضعيفة جداً، ويقول الطبيب انها قد تسلم الروح مابين لحظة واخرى.

ودخلا غرفة مضاءة بمصباح محجب. وكانت ماريا تجلس بجوار الفراش تنظر إلى ابنتها وقد تنبه كل مافيها من إحساس امام احتضار الطفلة التي لم تعرف بطبيعتها الجافة ان تمنح سيكا شيئاً من الحنان والعطف اللذين تتعطش إليهما، والذين وجدتهما عند اختها وزوجها هو الآخر. وعندما رات المركيز اورسيللا انحنت نحو المحتضرة الصغيرة وقالت:

- ها هو دون سيلفيو يا سيكا.

رفعت سيكا جفنيها الزرقاوين وحاولت شفتاها المتقعتين ابتسامة للوافد الذي انحنى فوق فراشها. وقالت في صوت واهن:

- انتظرت ياسيلفيو.

انحنى المركيز، وطبع قبلة على الجبين المبتل، فقد كان يشعر نحو تلك الطفلة بحنو اخوي.

- إنني احبك كثيراً ياختي الصغيرة.

عقد التاثر حلقه، فقد كان يشعر نحو هذه الفتاة بحب اخوي حقاً.

- انت كريم جداً، ولهذا اريد ان اقول لك شيئاً - ماما.. جينا... هل لكما ان تتركانا لحظة؟

تبادلت الأم والأخت نظرة داهلة... اي اعتراف تريد المحتضرة الصغيرة ان تبوح به لسيلفيو.

www.rewayti.net

وتوسلت سيكا بصوتها الواهن مرة اخرى قائلة،

- دقيقة واحدة.

وانصرفتا في صمت. وعندئذ قالت سيكا،

- هل لك ان تنحني قليلاً لكي تنصت إلي جيداً، لانني اريد ان اقول لك الكثير.

- ولكن الأولى ان تنتظري ياعزيزتي.. ستقولين لي غداً..

- كلا. فقد لاكون هنا غداً... اصغ إلي.. إنني سألت الله أن يمنحني الموت وانا اتوسل إليه ان تكون عزيزتي جينا سعيدة مقابل ذلك.

اجفل إجفالة قصيرة وقال،

- سيكا؟... ماذا تقولين؟

- اوه... هذا صحيح تماماً، فإنني اعرف انها غير سعيدة. كنا. ذات يوم نطرز معاً في الحديقة.. ابصرناك تمر في احد الممرات وانت تحمل زهور مضيت بها الى قبل الأخرى. ورايت اختي جينفرا المسكينة وقد شحب لونها، وارتجفت يداها وهي تطرز، وعرفت هكذا بانها تتعذب كثيراً.

كانت تتكلم في بطء وهي تمسك بين اصابعها الملتهبة يد زوج اختها. وعيناها المفرطتا الاتساع في ذلك الوجه الهزيل الضامرة متعلق بعيني سيلفيو المضطربتين. واردفت تقول في توسل رقيق،

- يجب ان تحب عزيزتي جينفرا... يجب ان تحبها وحدها.

قال في صوت مختنق،

- ولكنني احبها ايتها الأخت الصغيرة.. احبها وحدها فاطمئني.

وارتسم في عينيها الجميلتين اللتين انطبعتا بلون ارجواني باهت وومضتا بومضة خاطفة من الفرح. وتمتمت الشفتان المتقعتان،

- يالسعادتي.. دع ماما وجينا تدخلان.

ماتت سيكا في تلك الليلة، قبل ان يبزغ الفجر، في هدوء، تحت بصر امها وجينفرا وسيلفيو . انجزت الطفلة الرقيقة والمتاملة في الصمت قربان حياتها وحدها. وعرف سيلفيو عندئذ كم احبت اختها. وكما قال الكتاب المقدس إن اكبر دليل على الحب هو ان يبذل المرء حياته في سبيل اصدقائه.

وفي اواخر الصيف التالي، واثناء مرور دونا النوزي بريبنيتي قامت بزيارة آل اروسيللا. واكدت انها ارادت ان ترى الصغير سالفاتور الذي قيل عنه انه اجمل وليد في الدنيا. ولكن الواقع ان الفضول دفعها لكي تتاكد بعينيها عما سمعته، وهو ان دون سيلفيو خضع اخيراً لالتماسات اهل زوجته الأولى ونقل الى فرنسا رفات ابنتهم ومعها الكنيسة الجنائزية التي اقيمت ثانية في مقبرة آل دوفيغييه، كما سمعت ايضاً ان صورة هيلين الشقراء قد اختفت. وانها قد ووريت بكل عناية في احد الأدارج، وان البيت الصغير ببايس قد بيع، بعد ان اعاد المركيز اورسيللا الى آل دوفيغييه كل المتعلقات الخاصة بابنتهم. وسمعت اخيراً ان دون سيلفيو وجينفرا قد اصبحا زوجين سعيدين.

واستقبلت دونا تيريزا بطريقة مهذبة، ولكن دون حماس، ولم توجه إليها الدعوة للبقاء طويلاً، ولذلك لم تستطيع ارضاء فضولها في الساعات القليلة التي قضتها في شرفة مضيفيها وكل

www.rewayti.net

مالاحظته هو ان جينفرا كانت تبدو اكثر مرحاً من السنة السابقة، واكثر سروراً وسعادة على الخصوص، وان سيلفيو تغير هوالآخر، وان وجهه لم يعد نحيلاً كما كان، وان عينيه تتقدان بحيوية وبفرحة شديدة. وايقنت انها تجد نفسها في هذه المرة امام رجل جد سعيد، وهو انطباع لم تشعر به في زيارتها السابقة.

وقالت فيما بعد وهي تتناول العشاء لدى ابنة عمها ترافينا:

- إن الوفاء الدائم للذكرى لاوجود له بالتاكيد، فها هي اي ذي هيلين المسكينة قد طواها النسيان تماماً.

وردت عليها الكونتيسة قائلة:

- هذا صحيح، فما ان تزوج سيلفيو بامراة اخرى حتى اصبح يدين لها هي بكل حبه. ودونا جينفرا جديرة طبعاً بهذا الحب بحيث ما كان احد ليدرك كيف يتعلق بتلك الذكرى، وهي ذكرى مفرطة وبغيضة جداً بالنسبة للزوجة الشابة، واقول هذا بكل صراحة.

وفي نفس تلك الليلة، وبعد ان اطمانت جينفرا على ان الطفل نام عادت الى الصالون حيث كان سيلفيو يقرا، وجلست بجواره، واخذت كتاباً كانت قد قرات منه بضع صفحات، ولكن بصرها توقع عند صورة كبيرة لسيكا بدت فيها عينا الطفلة المفرطتي التامل تبتسمان تلك الليلة. وفكرت جينفرا، ما اسعدك ايتها الصغيرة العزيزة بتلك السعادة التي طالما تمينيتها من اجلنا... ثم انتقل بصرها الى سيلفيو، والتقت بالعينين السوادوين المشرقتين بالحب. وفي صمت جذب سيلفيو المراة الشابة اليه واحتواها بين ذراعيه. واعتمدت الراس السمراء فوق

كتفه في استسلام آمن. وبقيا هكذا فترة طويلة، لايتكلمان. والحق انه لم تكن بهما اية حاجة الى الكلام شفاهة بخصوص الشبح الذي فرق بينهما سنة، فقد تفاهما في الصمت وتركا حبهما يتكلم. ولم تعد هيلين بالنسبة لزوج جينفرا إلا ماكان يجب ان تكون.. اي الزوجة الميتة التي احبها بكل وله والتي لايزال يحتفظ نحوها بذكرى رقيقة، ولكنه لم يعد يتحسر عليها لأن الحياة تكلمت فيه بقوة اعلى من ذلك الحب الذي لم يعد غير مجرد ذكرى، والذي اصبح ملكاً خالصاً لجنيفرا.

تمت

www.rewayti.net

شاطىء الأمان
تأليف: سارا شانس
ترجمة: ريمة الفوال

الفتاة الصغيرة الآتية من الشمال على الرغم من كونها امراة جميلة جذابة إلا أنها لاقت في السنين الماضية من المتاعب ما انساها الابتسامة وملأ قلبها ونفسها الوحدة والاكتئاب.
وبالمصادفة تلتقي بالشاب ذو العيون الزرقاء دانييل صاحب الشهرة والمال ولكنها لا تثق بأي شخص فهل ستجد واحة الأمان أخيراً بعد أن تخيلت انها لا وجود لها؟

www.rewayti.net